

ياخالتي أريد أُمي

للكاتب: عبدالله الغامدي

~~~~~

تجميع: فيتامين سسي

شبكة روايتي الثقافية

~~~~~

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اليوم بإذن الله راح أنزل لكم تكملة رواية/ ياخالتي أريد أُمي
للكاتب: عبدالله الغامدي

بسم الله نبدأ*..

الفصل الأول

هذه هي الحياة ، يولد الإنسان ، ثم يكبر ، ثم يشب ، ثم يتزوج
وينجب ، وتستمر التربية إلى أن يموت الإنسان ، فهذا أحمد بن
محمد ، عاش في قرية صغيرة ، عاش بين أحضان والديه ، وفي
منزل أبيه ، تربى مع أهله وأحبابه ، وبين زملاءه وأصحابه ،
هاهو يكبر أمام ناظري والديه ، إلى أن شب وأصبح يعتمد عليه ،

سافر مع أصحابه ، بعدما ودع أهله وأحبابه ، يبحث عن رزقه ، يبحث عن وظيفة له ، لقي وظيفته التي تناسبه ، وظيفة في فرع من شركة تجارية كبيرة ، في مدينة كبيرة ، تبعد عن قريتهم من مائة وخمسين إلى مائتين كيلو متر تقريبا ، دخلها بسيط ، مباشر فيها ، وتشبث بها ، وبعد مرور عام من الزمن .

اتصل عليه والده وقال له ولدي أريد أن أفرح بك ، لابد لك من الزواج ،

أحمد : ولكن يا أبي دعني أكون نفسي ، وآخذ وقتا كافيا في وظيفتي.

والده : دعك من الكلام الغير مفيد ،

أحمد : حسنا يا أبي ،

والده : إذن يا بني على بركة الله ، عليك أن تأخذ إجازة بعد ثلاثة أشهر .

أخذوا في الترتيبات ، وأعدوا التجهيزات ، خطبوا له ابنة عمه ، التي من لحمه ودمه ، تلك اليتيمة ، تلك الوحيدة ، تلك التي لم يتزوج والدها بعد وفاة أمها ، من أجل تربيتها ، إنها مريم ابنة عمه سعيد ، فهي وحيدة أبيها ، من تطبخ له ، من تعطيه الدواء ، من تهتم به ، حددوا موعد الزفاف ، وأخذ في شراء الخراف ، ويأتي الوقت الحاسم ، ويأتي موعد الزواج ، فرح أحمد ، ولا أحد منه في ذلك اليوم أسعد ، وبعد أن زفت عروسته ، وأخذ زوجته ، وذهب إلى عش الزوجية ، قضوا ذلك اليوم في سعادة وهناء ، جلسوا في القرية ثلاثة أيام ، ثم سافروا بعدها إلى المدينة التي بها وظيفة أحمد ، استقروا في شقة بسيطة هناك ، أجارها معقول بالنسبة إليهم ، 10.000 ريال تقريبا ، وبعد شهرين تقريبا ، تحمل تلك الفتاة ، زادت السعادة ، واكتملت الفرحة ، يا لسعادة أحمد ، ويا لفرحة أحمد ، تمر الأيام والشهور ، ويبدأ العد

التنازلي ، تأتي موعد الولادة ، يخرج ذلك الطفل يبكي ، والكل حوله ضاحك وفيه يحكي ، يا لجمال ثغره ، يا لجمال عينه ، يا لجمال شكله ، يخرج الأم والأب حاملين طفلاً وليداً ، حاملين ضيفاً جديداً ، حاملين البهجة معهم ، حاملين من سيضحكهم ، إنه خالد ، من سيتكرر اسمه ، من سيكثر بكائه وضحكه ، عندها زاره والده وأمه ، وفرحوا معهم ، وعندما أرادوا الرحيل في اليوم التالي ، عزموا على الذهاب بعد أن صلوا صلاة الفجر ، وعند الرحيل وبينما أحمد يودع عائلته

قال له والده : الآن يا بني أصبحت أبا ، الآن أصبحت لديك عائلة ، فإذا غادرنا هذه الدنيا فهذه عائلتك ، لا تفرط فيها ، قال أحمد : أطال الله في عمرك يا والدي ، لا حاجة أن تقول هذا الكلام ،

والده : لا يا بني لابد أن تسمع هذا الكلام مني عاجلاً أو آجلاً ، ذهبوا بعد الوداع متجهين إلى منزلهم ، وبعدما رحلوا ، إذا باتصال يأتي في الساعة العاشرة صباحاً من رقم أبيه ، رد أحمد بتلهف وشوق ، هل وصلتكم ، ولكن الصوت غريب ، ثم قال من معي ، أجاب المتصل

الفصل الثاني:

أنا محمد ابن خالك ،

أحمد : لماذا هاتف أبي معك ، وهو في دهشة وذهول ،

محمد : تما لك أعصابك ، فقد وقع حادث لأحبائك ،

أحمد : ماذا تقول ! هل أنت جاد ، لا مستحيل ، قل غير هذا

أرجوك ، قل غيره ، محمد : لكن هذا هو الواقع ، والحق أبويك
فقد نقلوا إلى المستشفى العام بقريتنا ، أحمد : وهل هم بخير؟
محمد : إن شاء الله ، ولكن الحق بهم ،

أخذ أحمد زوجته وابنه ، واتجه مباشرة إلى قريتهم ، وصلوا إلى
هناك مع أذان صلاة العصر ، ذهبوا إلى المستشفى مباشرة ، كل
أقاربه مجتمعون ، وأمام المستشفى يكون ، ذهب مسرعا سائلا :
أقاربه

أحمد : أين أبي ؟ أين أمي ؟ ما بالكم تبكون ؟ إنهم بخير أليس
كذلك ؟ ولا أحد يرد عليه ، تركهم وذهب مسرعا إلى الطوارئ
وهو يصيح : أبي ، أمي ، سأل الممرضة هناك ، وأخبروه بغرفة
والديه ، وعندما وصل ، كان ملك الموت قبله قد وصل ، وأخذ
أرواحهم ورحل ، نظر إلى أبيه وأمه وقد غطى الطبيب على
وجهيهما بشرشف أبيض ، بدأت تقل خطواته إلى والديه ،
وأصبحت رجله لا تستطيع أن تحمله ، يمشي قليلا ثم يسقط ، ثم
يقوم ويمشي مرتكزا بيديه على الحائط ، وصل إلى أبيه ، ورفع
اللحاف عن وجه أبيه وأمه ، وبدأ يبكي ، ويزيد في البكاء ، أبي
هل أنت كما يقولون ميت ، أم أنت نائم يا أبي ، نعم أنت نائم ،
ولكن استيقظ فأنا ابنك أحمد ، أمي استيقظي أرجوك ، أبي قم
أرجوك ، أمي أرجوك انظري إلي ، أمي أتيت بحبيبك ، أمي أتيت
بخالد ، يتنقل في الغرفة بين أمه وأبيه ، ولم يصدق من حواليه ،
دخل محمد ابن خاله ،

محمد : أحمد اتق الله ، واصبر فهذا مصير كل حي ، إن العين
لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولكن ما نقول إلا ما يرضي ربنا إنا
لله وإنا إليه راجعون ،

أحمد : ولكنهم لم يموتان ، والآن سيستيقظان ،
محمد : اهدأ يا أحمد أرجوك ،

أحمد : لا لا لم يموتان ، أمي وأبي الحبيبان ،
محمد : أين إيمانك يا أحمد ، اصبر واحتسب ،
أحمد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أكمل محمد إجراءات الخروج
من المستشفى ، والغسيل والدفن ، وبعد صلاة المغرب ، أخذ
الأمم ينادي : الصلاة على الميت والميتة يرحمكم الله ، صلى
عليهم جماعة المسجد ومن بينهم ابنهم ، يدعو لهم ويبكي ،
وقلبي يتقطع ويذمي ، وبعد أن فرغوا من الصلاة ، أخذ هو
وأقاربه يحملون والديه ، إلى مقرهم الأخير ، إلى القبر ، حملوهم
في سيارة كبيرة ، ودموعه تسيل على خديه ، حزين ويبكي على
فراق والديه ، وصلوا إلى المقبرة ، اتجهوا نحو تلك الحفرتين
المتجاورتين ، حيث سيوضع فيهما والديه الحبيبين ، عندما
وضعوا والده ، وأنزلوه ووضعوه في لحدده ، وأخذوا يحثون
التراب عليه ، وأحمد من بينهم ، وهو يبكي بكاء شديدا ، وانتقلوا
إلى أمه ، وانكب أحمد يبكي عليها ويصيح ، والكل يذكره بالله ،
أخذوها من بين أحضانه ، وهو متمسك بها ، يجذب كفنها وأقاربه
ينتزعونه من بين يديه ، وأنزلوها إلى قبرها ، حينما وليدها
ودعها ، أخذ يصيح بصوت عال ، أحقا مات أبي ، أحقا رحلت
أمي ، أحقا رحل الكوكبان ، أحقا مات الحبيبان ، وحينما انتهوا
من دفنهما ، قام أحمد يدعو لهما ، ومن ثم انصرف وودعهما ،
ذهب إلى منزلهما ، من أجل أن يستقبل عزاها ، وفي قرابة
الساعة الثانية عشرة تقريبا ، انصرف الجميع ، ولم يبق إلى هو
وزوجته وولده ، أخذ يجول في البيت ، يتذكر يوم أن كان صغيرا
، وأمه وأبيه يلهون معه ، يطعمونه ، يسقونه ، إذا مرض
يهلعون ، وإذا تعافى يفرحون ، يضحكون لضحكاته ، ويحزنون
على بكائه وصيحاته ، لهما في كل زاوية ذكرى ، ولهما في كل
البيت مرأى ، يفتح غرفتهما ويبكي على فراقهما ، أبي أمي لماذا

تركتموني وحيدا ، لماذا تخليتني عني ، لم ذهبتكم بهذه السرعة ،
زوجته تقول له مريم : هذا قضاء الله وقدره ،
أحمد : في الصباح كانا معنا ، كانا فرحين بولادنا ، لماذا غادروا
بهذه السرعة ،

زوجته مريم : هذا أمر الله ، اصبر واحتسب وادع الله أن يجعل
مثواهم الجنة ، يكفك أحمد دموعه ، ويذهب إلى فراشه ليرتاح
قليلا ، ولكن صورة أبيه وأمه لا تفارقه لحظة واحدة ، وبينما
تعرض الصور على مخيلته ، ويبهر في أفكاره ، إلى أن داهمه
النوم ، ونام ولم يشعر إلى في الصباح ، عندما توافد الأقارب من
أجل تكملة العزاء ، ويمر هذان اليومان ، وهو مرهق تعباً ،
ويجلس في منزل والديه بعد العزاء أربعة أيام ، قبل أن يغلق
منزلهما وينسى بالتمام ، غادروا بعد هذه الأيام ، وأقفل ذلك
المنزل مع تلك الذكريات ، وينسى ما كان فيه من لحظات ،
ويذهب أحمد إلى شقيقته ، وبعد أن وصل إلى مستقره ، وبعد
يومين تقريبا ، إذا بطارق يطرق الباب ، يفتح أحمد الباب ، من
هو يا ترى ؟

يتبع..

الفصل الثالث:

وإذا به عمه غرم الله ، أهلا بالعم غرم الله ، وبعدما نشد أحمد
عمه عن الحال ، أخذ عمه بطرح الموضوع الذي جاء من أجله ،

وقال

عمه غرم الله : أحمد أعلم أنك حزين على فراق أبويك ، وأنا أتيت
لأجل موضوع آخرته إلى الآن ، وهو أن والدك رحمه الله قد
استدان مني مبلغا من المال من أجل زواجك ، إنه مبلغ قدره
20.000 ألف ريال ،

أحمد : ماذا تقول يا عم ؟

عمه غرم الله : هذا الصحيح يا بني وأنا أريد المبلغ خلال
الشهرين القادمين ،

أحمد : حسنا يا عم ، سأحاول قدر المستطاع أن أوفر لك المبلغ
،

عمه غرم الله : إذا إلى اللقاء يا بني ،

أحمد : استرح معنا يا عم ،

عمه غرم الله : لا يا بني لدي أشغال وإنما أتيت أخبرك بهذا
الموضوع ،

أحمد : إذا إلى اللقاء يا عم ، أصبح في هم ، وأصابه الغم ، فها
قد بدأت تزداد المسؤوليات ، وبدأت تكثر على أحمد الطلبات ، لم
يكف أجار بيته ، ومصرف أهله ، الآن يحمل ديون أبيه ، كان
يشكي إلى زوجته ، وهي تواسيه وتصبره دون أن تقدم له الحلول
، يكبر خالد ، وأبوه يلهاوا معه ، بدأ يمشي قليلا ، وأبوه فرحا
مسرورا ، يفرح ويخفي في قلبه الأحران ، ويبتسم ويخفي في
صدره الأكدار ، كان لديه صديق في العمل ، إنه سعد ومقرب إلى
قلبه من بقية زملائه ، أخذ يحكي له أحواله شيئا فشيئا ، وطلب
منه سلفا مقداره عشرة آلاف ريال ، وافق وأعطاه المبلغ ، كان
سعد دائما يقول لأحمد : أنت استعجلت في تكوين الأسرة ،
واستعجلت في إنجاب ولد ،

أحمد : إذا ما العمل ، وما هي الطريقة ، أصبح الآن لدي ديون ،

والكل يطالبني بجنون ، أبي رحل وتركني أحمل عنه ديونه ،
وزادت مسئوليات ولدي خالد ،
سعد : لا بأس يا أخي ولا تيأس وإذا أردت أي شيء فأنا مستعد

أحمد : شكرا يا سعد ففضائلك علي بعد الله كثيرة ،
سعد : أنا أخوك يا أحمد فلا تقل هذا الكلام ، فأخذ أحمد كل بعد
فترة يستدين من سعد ، ويستلف من البنوك ، كثرت عليه الديون
، فأصبح مهموما ، دائما عبوس الوجه ، لا يريد أحدا أن يكلمه ،
لا زوجته ، ولم يعد يهتم بابنه ، ولكن الأيام أخذت تنسيه شيئا
فشيئا ، فهو يتأرجح بين الضحك والبكاء ، وبين الهم والفرج ،
وتمر الأيام ، وتجري الشهور والأعوام ، وبعد 7 سنين من هذه
الأخوة ، من هذه الصداقة ، بعد أن كبر خالد ، وهو في أول سنة
من الدراسة ، ازدادت المسؤولية كثيرا ، وفي ذات يوم من الأيام ،
عندما كان أحمد يشكي لسعد همومه كالعادة ، إذا بسعد يحكي هم
أخته التي تقدمت في العمر وهي لم تتزوج إلى الآن طرأت عليه
فكرة وقال : عندي لك حل ؟

أحمد : وما هو ؟

سعد : عندي أخت معلمة ، إذا أردت أن تتزوجها ، منها تفرحها
وتسعد بها بالزواج وهي تساعدك بما تستطيع ،
أحمد : ماذا تقول أتزوج مرة أخرى ؟ هل جننت ؟ لم أستطع أن
أقوم بمصروف واحدة ، وتريدون أن أخذ الثانية ؟
سعد : اسمع لا ترد الآن فكر ورد لي بعد يومين ،

أحمد : أتزوج على حبيبتي غير معقول ! وذهب إلى البيت ، وقال
لزوجته ، ما أنت فاعلة لو تزوجت عليك ، قالت : بالله ما ترى
أني فاعلة ، سأدعو لك بالتوفيق ولكن لن أبقى معك ولكن أنت لن
تستطيع الزواج وأنت بحالتك هذه ، فبالله عليك هل طرأت عليك

هذه الفكرة ، أحمد : لا ، لا وإنما أمارحك يا أم خالد ، وبعد يومين
أتى إلى سعد وقال له : اعذرني يا أخي لا أستطيع الزواج ،
سعد : إذا براحتك ، ولكن أنت الآن ترفس النعمة بقدمك ، فلديها
شقة واسعة ، ستريحك من الاجار ،

أحمد : فز من مكانه ، وقال لا أريد لأن زوجتي لن تبقى معي ، لا
أريد هذه وصية أبي ، هل تريد أن تهدم بيتي ،
سعد : أنا لا أريد أن أهدم بيتك ، ولكن أنت ستهدمه بنفسك ،
زواجك هذا ليس فيه مضرة لزوجتك ، وإنما لمصلحتك ومصلحتها
، ولو كان أبوك حيا لوافق على هذا الأمر ، وإذا زوجتك تحبك
ستفعل كل شيء من أجلك ،
أحمد : لا أريد يا أخي ،

عندها انقلب سعد ، ذلك الصديق الودود ، إلى عدو لدود ، وقال
اسمع أريد أن تنساني إلى الأبد ، ورد إلي مالي الذي استلفتته مني
خلال هذا الأسبوع ،

أحمد : ماذا ، ماذا تقول يا سعد ،
سعد : هذا كلامي الأخير ، انتهى كل شيء بيننا ،
صدم أحمد لهول هذا الموقف ، أخذ يحدث نفسه ، يا الله ما هذه
المصيبة التي لم تخطر على البال ، لقد استلفت منه مبلغا كبيرا ،
كيف أومنه في هذه الفترة الوجيزة ، ذهب إلى البيت مصدوما من
هول ما سمع ، ولم يصدق ما حدث ، أخذت زوجته تنادي يا أبا
خالد ، هلم إلى الغداء ، وهو لا يريد أي غداء ، أتت إلى غرفة
النوم وهو نائم ، تركته ينام ، وأغلقت عليه الباب ، استيقظ
لصلاة العصر ، صلى وعاد البيت ، وعاد إلى غرفته ، وعندما
أذن لصلاة المغرب ، انطلق إلى الصلاة ، وبعدها عاد إلى أهله ،
أخذ يتكلم معهم ، ويلعب مع ابنه ، ليزيل بعضا من همهم ، وصلى
العشاء وأتى يريد العشاء ، قد أنهكه الجوع ، أكل ونام ، وفي

اليوم التالي ، لم يذهب إلى الدوام ،
وزوجته تسأله : هل أنت على ما يرام ،
أحمد : قال نعم ، ولكن أريد أن ارتاح قليلا ، أخذ يفكر في الأمر ،
ويبحث فيه من شتى زواياه ، وبنهاية اليوم ، توصل إلى القرار ،
وعزم على الإقدام عليه بكل إصرار ، وسأل زوجته قائلاً : لو
فعلت أي شيء لمصلحتنا هل ستغضبيني مني ؟ قالت : لا ، ولماذا
أغضب ، عندها اطمئن قلبه ، وارتاح قليلا ، وفي اليوم التالي ،
ذهب إلى الدوام ، وأخذ يبحث عن سعد ، وجده على المكتب ،
يتصنع الحزن ، سلم عليه أحمد ، ولم يرد السلام ، ما بالك يا
صديقي ، هل أنت غاضب مني ، وهو لا يريد الكلام ، إذا براحتك
، ولكن لو طلبت زيارتكم اليوم هل ستستقبلني أم لا ؟ فر سعد من
مكانه

سعد : هل أنت جاد ؟

أحمد : نعم ،

سعد : إذا وافقت على الأمر الذي طلبته منك ،

أحمد : نعم ،

هنا عادت المياه إلى مجاريها ، وبنهاية الدوام همس سعد إلى
أحمد وقال : لا تتأخر نحن بانتظارك بعد صلاة المغرب مباشرة ،
إن شاء الله ، بدأ العد التنازلي ، قبل صلاة المغرب أخذ أحمد
يجهز نفسه ، لبس أجمل الملابس ، وتعطر وتبخر ،
قالت له زوجته : يا الله كأنك عريس ،
أحمد : أنا عريسك أنت فقط ، لن يشاركني فيك أحد ، هل تريدان
شيئا ،

زوجته : نريد سلامتك ،

أحمد : إلى اللقاء ، وصل البيت ، أخذ سعد ووالده وأخوه سالم)
مدرس بإحدى المدارس الابتدائية بالمنطقة (، يرحبون بأحمد ،

بعد الترحيب ، أخذ أحمد في الكلام مع والد الفتاة من أجل خطبتها ، وافق والدها واتفقوا على الصداق وكل ما يلزم الزواج ، ولكن أحمد كان عنده شرط أن يتزوج في السر ، رفض الوالد بشدة ، ولكن أحمد قال ليس بالسر الذي تعتقد وإنما أهلها فقط ، أي خالاتها وعماتها فقط ، وافق الوالد ، وافق أبو سعد على زواج ابنته سلمى ، فرح أحمد وذهب إلى البيت وهو في غاية السعادة ، ولما وصل إلى المنزل كان في استقباله ابنه خالد ، وهو يقول بكلماته التي تخرج مثل الشهد ،

خالد : بابا بابا أريدك أن تشرح لي هذا الدرس ، علمه ذلك الدرس ، وأمه جالسة بجواره ، وبعد أن أكمل تعليم ابنه أخذ يتحدث معهم ويتسامر ويلعب معهم ، وفي اليوم التالي سعد : هل أنت مستعد للملكة ،

أحمد : نعم ، قال ما رأيك بيوم الخميس المقبل ، قال أنا موافق على ذلك ، إذا على بركة الله ، سأخبر والدي وأختي بالأمر ثم اتصل عليك ، اتفقا إذا سأنظر اتصالك ، وبعد العصر ، إذا باتصال يأتي من سعد ، السلام عليكم ، وعليكم السلام ، أختي والوالد وافقوا على يوم الخميس ، إذا على بركة الله ، أخذ يستعد خلال ذلك الأسبوع ، وفي عرض الأسبوع ، أصبح يؤنبه ضميره ، يا الله هل هذا القرار صائبا أم لا ، ماذا أقول لتلك المسكينة ، ماذا أقول لأم خالد ، أي عذر أقول لها ، ولكن لم أفعل مضره بها ، وإنما من أجل مصلحتنا ، لا لا لم أخطأ ، ويوم الأربعاء ، أتى بوجه غير الذي عليه دائما ، وجه منير ومشرق ، مهندهم اللحية والشعر ، سألته زوجته مريم : ما هذا الجمال ، هل لديك موعد مهم غدا ،

أحمد : نعم ،

سلمى : وما هو يا ترى ؟

أحمد : اجتماع مع زميلي وحبيبي ورفيق دربي سعد ،
مريم : وفقك الله يا زوجي ،
أحمد : أنا ذاهب لأنام وأرتاح هل تريدني مني شيئا ،
مريم : لا نوم العافية يا قلبي ،
أحمد : إذا تصبحين على خير ،
مريم : وأنت من أهل الخير ،
نام أحمد وهو قرير العين فرحان ، وفي الصباح استيقظ مبكرا ،
قامت زوجته وأعدته له الإفطار ،
مريم : هل نمت جيدا بالأمس ،
أحمد : نعم ، وأشعر بأني في سعادة لا توصف ،
مريم : جعل الله السعادة لا تفارق مبسمك ،
أحمد : آمين وأنتي كذلك ، وبعد العصر ذهب إلى اجتماعه مع
سعد ، وهو في الحقيقة ليس مع سعد وإنما مع أخت سعد ، مع
سلمى ، عقد لهم الشيخ ، ودخل عليها ، ولم يكن يتوقها بالصورة
التي في باله ، ولم تكن مثل الصورة التي رسمها في خياله ،
ليست بذاك القدر من الجمال ، كان يتوقع أنها أجمل من زوجته
الأولى ، ولكن قال لعلها جميلة الروح ، أخذت يتحدث معها ويقول
: لم أر لك مثيل في هذا الكون ، أنت أجمل من رأيت عيني ، أنت
القمر ، أنت الملاك ، أنت الجمال ، وغير هذا من الكلام ، وهي
تشاركه أحاسيسه ، إلا أن أذن للمغرب ، عاد إلى المجلس ،
وأخذوا في تحديد الزواج ، واتفقوا أن يكون بين الفصلين من تلك
السنة ، أخذ يرتب أموره ، ويستعد لهذا اليوم ، أخذ إجازة من
عمله لمدة شهر (شهر العسل) ، وفي آخر يوم من ذلك الفصل
وبداية إجازته ، وقبل زواجه بيوم ، أتى ابنه ، فرحا مبسوطا
بشهادته ، بأول شهادة يحصل عليها في حياته ، فيها أجمل
وأعلى الدرجات ، مبروك يا بني ، هذا ما قال لابنه الوحيد ، لفظة

كبدته ، أنا في عجلة من أمري يا بني ، لا بد أن أسافر ، ولكن إذا أتيت سأتي لك بهدية جميلة ، ذهب بهم إلى عمه سعيد ، والد زوجته وكان مريضاً في تلك الأيام ، طلب منه أحمد أن يوصله إلى المستشفى ولكنه رفض ، إذا براحتك يا عم ، ودع زوجته وابنه وعمه ، ثم انطلق إلى سفرته التي تبعد بضع كيلومترات ، سافر إلى بيته ليجهز فيه حاله من أجل زواجه ، ويأتي اليوم التالي ، يوم الخميس ، يوم زواجه الذي حضره زملائه وأحبابه وأهل زوجته ، وبعدما انتهى الزواج أخذ زوجته إلى فندق كبير ، مكثوا فيه يومين ، وبعد يومين سافروا إلى شهر العسل ، وشهر المرح ، إلى أجمل الديار ، وفي اليوم التالي ، وبعد صلاة العصر اشتد على أبيها المرض إلا أن أعمي عليه ، يا الله ما الذي أفعله ، ذهبت مسرعة تطرق بيت الجيران إلى أن أتت بيت أم مهند ، وأخبرتها بالخبر وما كان من أم مهند إلى أن أخبرتها ابنها مهند صاحب الثمانية عشرة سنة ، نقله إلى المستشفى ، نقلوه إلى العناية ، وأخذوا يجرون معه الفحوصات ، وعندما خرج الطبيب من العناية ،

مهند : هل حالة عمي في خطر أيها الطبيب ؟

الطبيب : ادع له أن يقوم بالسلامة .

مهند : ما الذي لديه ؟

الطبيب : قل ما الذي ليس لديه ؟

مهند : أخبرني هل هناك فائدة من علاجه ؟

الطبيب : لا أظن ، لأنه مصاب بالسرطان .

مهند : ماذا ، ما الذي تقوله .

الطبيب : نعم ، وإن هي إلا ساعات وسيفارق هذه الحياة .

مهند : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الطبيب : اصبر واحتسب هذا قضاء الله وقدره .

مهند : جزاك الله خيرا أيها الطبيب .
عاد إلى جارتهم مريم وهي تسأله .
مريم : ماذا قال لك الطبيب .
مهند : إنه بخير .
مريم : ولكن وجهك يقول غير ذلك .
مهند : لا ، ولكن جاءني خبر سيء عن أحد زملائي .
وعند المغرب قالت لمهند ،
مريم : هل تتصل لي على هذا الرقم ؟
مهند : بكل سرور يا خالتي .
اتصل مهند على هذا الرقم ، هاتف أحمد يرن .
سلمى : أحمد هاتفك يرن .
أحمد : من ؟؟
سلمى : لا أعلم رقم غير مسجل لديك .
أحمد : أخذ هاتفه ووضع على الصامت وقال : ربما أحد الزملاء .
سلمى : أجب ربما يريد شيئا ضروريا .
أحمد : لا عليك لا أريد أن يشغلني شيء عنك .
مهند : لا أحد يرد يا خالتي .
مريم : لا عليك ، نتصل به لاحقا .
مكثوا في المستشفى إلى بعد صلاة العشاء ، جاء الطبيب وقال :
الطبيب : اذهبوا إلى البيت ، استريحوا وعودوا غدا .
مهند : إذا هيا يا خالتي وسنعود غدا إن شاء الله .
مريم : لا .. أريد أن أبقى مع أبي .
الطبيب : لا فائدة من جلوسك هنا .
مهند : هيا يا خالتي وسنأتي غدا من الصباح .
مريم : إذا هيا بنا .

وعندما عادوا إلى البيت ، أرادت أن تأخذ ابنها خالد وتذهب إلى البيت .

مريم : شكرا لك يا أم مهند ، أتعبتكم معي ولكن سامحوني لا أحد لدي إلا الله ثم أنتم .

أم مهند : لا عليك ، وإذا أردتي أي شيء فلا تستحي .

مريم : إن شاء الله ، ولكن يا مهند هل تتصل مرة أخرى .

مهند : أبشري .

رن الهاتف ، وردت سلمى

مهند : تفضلي يا خالة لقد أجاب .

مريم : ألو

سلمى : نعم .

مريم : أنا آسفة لابد من أم الرقم خاطئ .

سلمى : لا عليك

مريم : إلى اللقاء .

مريم : أعد الرقم لابد أنك أخطأت .

مهند : عاود الاتصال .

مهند : أجيبني يا خالة .

مريم : ألو .

سلمى : ألو .

مريم : السلام عليكم .

سلمى : وعليكم السلام .

مريم : هل هذا رقم أحمد محمد .

سلمى : نعم ، بدافع الغيرة تقول : من أنتي .

مريم : أنت من أنتي .

سلمى : أنا زوجته .

ألجمت مريم عن الكلام من هول الصدمة ، رمت بالهاتف وسقطت

، أخذ من بجوارها يصيح ، خالتي ، جارتني ، أمي ، رفعوها إلى السرير ، ولكنها لم تستيقظ ، نقلوها إلى المستشفى ، وسلمى : ألو ، ألو ، ثم أغلقت السماعة ، وأغلقت سعادة مريم معها ، عندما وصلوا إلى المستشفى ، نقلوها إلى التنويم ، والكل ينتظر الطبيب ، ولما خرج الطبيب .

مهند : ما الذي لديها ؟

الطبيب : لديها انهيار عصبي ، وإذا استمرت على هذه الحالة إلى إذا المغرب سنضطر إلى إجهاض وإنزال الجنين .

مهند : ماذا ؟ هل هي حامل ؟

الطبيب : نعم ، لماذا ليس لديكم علم .

مهند : والله لا نعلم لأنها جارتنا .

الطبيب : إن شاء الله تتحسن .

ترك مهند رقم هاتفه لدى الطبيب وطلب منه الاتصال عليه إذا استيقظت ، وذهبوا إلى المنزل وأخذوا خالد معهم ، أخذ مهند خالد لينام معه في غرفته ، أخذ الطفل البريء يسأل عن أمه ، خالد : هل ستموت ماما .

مهند : لا إن شاء الله .

خالد : وجدتي هل سيموت .

مهند : وجدك بخير إن شاء الله .

خالد : لو ماتت ماما وين أعيش .

مهند : إن شاء الله ربي يمدد في عمرها .

خالد : يعني إن شاء الله لن تموت .

مهند : إن شاء الله .

وفي اليوم التالي ، يوم السبت ، وفي الصباح الباكر ، استيقظت

مريم ، وهي تسأل

مريم : أين أنا ؟

المرضة : أنت بالمستشفى .

مريم : ولماذا ؟

المرضة : سأنادي الطبيب وهو يخبرك بكل شيء .

وعندما أتى الدكتور : الحمد لله على السلامة .

مريم : ما الذي حدث ؟

الدكتور : أنت كنت بالأمس في حالة حرجة أتى بك شاب ووالدته

وابن صغير .

مريم : عرفت الذين أتوا بها ، ولكن ما الذي عندي .

الدكتور : كنت ستفقدن حياتك وحياة ابنك .

مريم : من ؟ خالد . ماذا أصابه .

الدكتور : لا . ابنك الذي في أحشائك .

صعقت مريم بهذا الخبر .

مريم : ماذا هل أنا حامل ؟

الدكتور : نعم ، لم تكوني تعلمين .

مريم : لا . مستحيل ، وهي تبكي متوسلة إلى الطبيب أرجوك أيها

الطبيب خلصني منه أرجوك لا أريد أن أحمل ، يكفي خالد .

الدكتور : هدي يا امرأة ، واذكري الله .

وهي تبكي وتصيح ، لا أريد ، لا أستطيع أن أقوم بتربية اثنين ،

أرجوك خلصني منه ، أرجوك .

أعطوها مهدئا لتنام ، واتصل الطبيب على مهند ، وأخبره أن يأتي

في الحال ، أتى مهند وأمه وابن جارتهم خالد ، ذهب مسرعا إلى

الطبيب

مهند : ما الذي حدث ؟

الطبيب : عندما علمت بأنها حامل انهارت وانفعلت وأرادت أن

تتخلص من جنينها.

مهند : ماذا ؟ هل ما تقول هو الحقيقة ؟

الطبيب : نعم ، ولكن أرسل أمك لتتحدث معها .
ذهب مهند إلى أمه وقال لها : يا أمي أريدك أن تهدئيها ، وتحاول
أن تقنعيها أن هذا الأمر غير جائز .
وعندما دخلت أم مهند إلى غرفتها .
أم مهند : يا أم خالد ، ما هذا الأمر الذي تقولين ، لماذا لا تريدين
الابن ؟

مريم : يا أم مهند ، زوجي قد خاتني ، زوجي ذهب في شهر
للعسل وتركني في أحلك ظروف ، زوجي تزوج علي .
أم مهند : ما الذي تقولينه ؟
مريم : نعم ، هذا ما عرفته بالأمس .
أم مهند : يا أم خالد ، وما دخل هذا بإجهاض الجنين ، لماذا
تودين أن تقتلي هذه الروح البريئة ، عاقبي زوجك وليس نفسك
وابنك .

مريم : أنه ابنه وأريد أن أعاقبه .
أم مهند : إذا عاقبتيه فعليك أن تعاقبي خالد .
مريم : ماذا ؟ خالد . وما دخله ؟
أم مهند : لأنه ابنه كذلك .
عندها أيقنت مريم أنها على خطأ ، وقالت
مريم : يا أم مهند اطلبي من ابنك يبحث لي عن غرفة صغيرة لي
ولأطفالي .

أم مهند : إن شاء الله .
مريم : أريد الخروج من المستشفى .
أم مهند : إن شاء الله ولكن أعطيني وعد بأك لن تفعل شيئا
لجنينك .
مريم : أوعدك .

استدعت أم مهند ابنها وأخبرت أن يطلب من الطبيب أن يخرج

مريم من المستشفى وأنها على ما يرام .
مهند : إن شاء الله .

ذهب إلى الطبيب وأخبره بأن حالته تريد الخروج من المستشفى
ولكن الطبيب رفض وقال

الطبيب : لابد أن تمكث عندنا حتى الغد .

مهند : لا تستطيع لأنها لابد أن تخرج وتذهب لزيارة أبيها .

الطبيب : لماذا ؟

مهند : إن أباه مصاب بالسرطان وهو في العناية .

عندها وافق الطبيب على الخروج ولكن بشرط أن تلتزم بالعلاج
وأن تباعد عن العصبية .

خرجت من المستشفى عند أذان الظهر .

استراحت في البيت عند جارتها ، وسألت مهند عن أبيها ،
وأخبرها بأنه على ما يرام وسيذهبون إلى زيارته بعد العصر ،
وبعد العصر ذهبوا إلى زيارة أبيها ، وكانت بحالة أسوأ ممن كانت
عليه بالأمس ، جلس عنده حتى انتهاء الزيارة ، وعادوا إلى
البيت عند أذان العشاء ، وأرادت الذهاب إلى منزلها ، ولكن أم
مهند رفضت أن تذهب وهي بهذه الحالة ، وافقت مريم على أن
تنام عندهم ، وفي الساعة العاشرة مساء ، جاء اتصال لمهند ،
مهند : أخذ يقول في خاطرة من يا ترى هذا المتصل ؟ وماذا يريد
؟ دعني أرد : ألو .

المتصل : السلام عليكم .

مهند : وعليكم السلام . من معي ؟

المتصل : أنا طبيب العم سعيد .

مهند : أهلا وسهلا . ماذا تريد ؟

الطبيب : أريدك أن تأتي مباشرة إلى المستشفى ؟

مهند : لماذا ؟ ما الذي حدث ؟

الطبيب : أريدك أن ثم سكت .
مهند : تريدني ماذا ؟
الطبيب : أريدك أن تستلم جثة أبو مريم .
مهند : ماذا ؟ ما الذي تقول ؟
الطبيب : هذا الذي حدث ، وأردت أن أخبرك ، فأرجو المبادرة
وإلى اللقاء .

يتبع...

الفصل الرابع:

وفي الساعة العاشرة مساء ، جاء اتصال لمهند ،
مهند : أخذ يقول في خاطرة من يا ترى هذا المتصل ؟ وماذا يريد
؟ دعني أرد : ألو .
المتصل : السلام عليكم .
مهند : وعليكم السلام . من معي ؟
المتصل : أنا طبيب العم سعيد .
مهند : أهلا وسهلا . ماذا تريد ؟
الطبيب : أريدك أن تأتي مباشرة إلى المستشفى ؟
مهند : لماذا ؟ ما الذي حدث ؟
الطبيب : أريدك أن ثم سكت .
مهند : تريدني ماذا ؟
الطبيب : أريدك أن تستلم جثة أبو مريم .
مهند : ماذا ؟ ما الذي تقول ؟
الطبيب : هذا الذي حدث ، وأردت أن أخبرك ، فأرجو المبادرة
وإلى اللقاء .

سقطت العبرة على خدي مهند وهو لم يجلس مع ذلك الرجل ، ولم يسمع منه الكلام ، وإنما حزين على أم خالد ، ما هذا الذي أصابه ، زواج حبيبها ، وموت أبيها ، ومرض بنفسها ، كيف لي أن أخبرها ، وماذا أقول لها ، أبوك غادر الأكوان ، والدك لن تقابليه بعد الآن ، وأرادت مريم أن تذهب إلى دورات المياه ، وكانت بجانب غرفة مهند ، مات أبو مريم يوم السبت ، وذهبت أم مهند معها لتغلق الباب على ابنها ، دخلت على ابنها وأغلقت الباب ، وذهبت مريم إلى دورة المياه ، أخذت أم مهند تسأل ابنها ما بالك حزينا ، وهو يقول

مهند : لا شيء يا أمي .

أم مهند : لا هناك شيء عظيم .

مهند : لا شيء يا أمي وإنما حزين على جارتنا .

أم مهند : هناك كلام تريد أن تقوله ولكن لا تستطيع أليس كذلك ؟

مهند : بلى يا أمي .

أم مهند : وما هو .

وبينما مريم خارجة من دورة المياه قال

مهند : لقد توفي أبو مريم .

صعقت مريم صعقة قوية ، أغمي عليها ، ركضت أم مهند إليها وهي لم تعلم أنها سمعت الخبر ، وإذا بها ساقطة على الأرض ، رفعتها أم مهند ، ورششت على وجهها بعض الماء ، ولما أفاقَت سألتها أم مهند : ما بك ، مريم : لا ، لا وأخذت تصيح بالبكاء ، لا أبي لم يمِت ، لا ، كيف مات وهم يقولون أنه بصحة جيدة ، لماذا لم يقولون لي أنه سيموت لأبقى بقربه ، وأم مهند تهدئها أم مهند : هذا قضاء الله وقدره ، اصبري واحتسبي .

مريم : لماذا أنا يا ربي ؟ لماذا أتت المصائب علي فجأة ؟ لماذا

اخترتني أنا يا ربي؟ لم يبق لي أحد .
أم مهند : اذكرني الله ،
وبينما هم يبكون ، دخل عليهم خالد ،
خالد : ما بال أمي تبكي وتصيح .
مهند : لا شيء يا خالد ؟
خالد : لا بد أن أعرف من أحزن أمي .
مهند : لا أحد يا خالد .
ذهب خالد مسرعا إلى أمه ،
خالد : ماما ماذا بك ؟
وهي تصيح ولا تريد أن تجيب أحدا ، أخذه مهند بيده وقال له إن
جدك مات .
قال خالد ، ذاك الطفل البريء ، يعني لن أراه بعد الآن .
مهند : نعم ، لن تراه بعد الآن .
تسقط الدموع على جفن ذلك الطفل البريء ، ويحزن ذلك الطفل
الصغير ، حزنا على فقد جده ، وحزنا على بكاء أمه .
وأخذت أمه تقول : لم يمت أبي ؟ قل لي يا مهند بأنك تمزح معي
؟ قل لي بأن أبي سيعود إلي وهو ضاحك مسرور ؟ قل لي أنه حي
وإنما خيل إليهم أنه مات ؟
مهند : بل مات يا خالة ؟
أم خالد : أنت تكذب علي ؟ لماذا تكذب على خالتك ؟
مهند : والله إنه لحق يا خالتي ؟
وعندها أيقنت الأمر وبدأت تبكي بكاء مريرا .
وفي اليوم التالي صباحا ، ذهب مهند إلى المستشفى من أجل أن
يكمل إجراءات خروج جثة أب مريم من المستشفى ، وعندما أكمل
الإجراءات ، واجتمع الأقارب من أجل أن ينقلوا الجثة إلى
المغسلة ، نقلوها ، وغسلوها ، وودعوها ، ثم صلوا عليها صلاة

الظهر ، دفنوه ودعوا له ثم انصرفوا ، وأحمد في سعادته لاهي ،
وفي زوجته وولده غير مبالي ، تنقضي أيام العزاء الثلاثة ، وفي
اليوم الرابع ، طلبت مريم من جارتها أن تطلب من ابنها دارا
صغيرة غير هذه الدار ، بحث مهند ووجد دارا مناسبة لهم في
نفس حيهم ، وقريبة من مدرسة خالد ، على نفقة فاعل خير ،
وعندما انتقلت إليه ، طلبت منهم أن لا يخبروا أحمد بمكانهما ثم
انصرفا ، وفي كل ليلة تذكر أباهما ، وتعاتبه قائلة ، أبي : لماذا
تركتني وحيدة ، لماذا رحل بهذه السرعة ، هل رحلت حقا ، أم
ستعود لا حقا ، هل رحلت يدك الحانية ، وسكنت روحك الداوية ،
أبي : كم افتقدك ، كم احتاج لك ، زوجي تركني ، وأنت رحلت
عني ، وأنا سأصارع الأيام والليالي وحدي ، بكت حتى نامت ،
نامت على الأسى والحرمان ، وتصحوا على الأحزان ، بدأت تعد
ولدها ومن بقي لها في هذه الدنيا بعد الله سبحانه للمدرسة وذلك
يوم الخميس ، ذهبت إلى السوق تجر خطاها من أجل شراء ما
يحتاج إليه ضناها ، أخذت جميع الأغراض التي يحتاج إليها خالد
في المدرسة مم دفاتر وأقلام وغيرها ، سأل ذلك الطفل البريء عن
أبيه

خالد : ماما ؟ أين أبي ؟

مريم : إنه مسافر في عمل .

خالد : متى سيأتي ؟

مريم : ربما لن يأتي بعد الآن .

خالد : لماذا اذا ؟

مريم : لأنه تناسانا .

خالد : ولكن أبي وعدني أنه سيشتريني لي هدية .

احتضنت مريم وليدها وقالت : بني ، حاولت أن تنسى أبيك ، أنا

أمك وأبوك وكل ما تريد ، أبوك تزوج يا خالد ونسينا ، وبكيت

حينها .

التفت خالد إلى أمه ومسح الدموع من على خديها وقال : أماه ،
لا تبكي أرجوك .

احتضنت ابنها بكل حرارة وتبسمت قائلة : لن أبكي مرة أخرى ،
سأعد لك العشاء ، ثم تعشوا وناموا تلك الليلة .

وفي يوم السبت كان دوام خالد ، ذلك الطفل يداوم مشيا على
قدميه وهو لم يتعود على ذلك ، وأمّه على عتبة الباب تنتظر إليه
إلى أن يصل إلى المدرسة ، ويعود مثل ما ذهب وأمّه جالسة على
الباب تنتظره ، أين أبيه الذي كان يسرح معه ؟ أين أبيه الذي كان
يعود معه ؟

وبعد أسبوعين من الدراسة عاد أبو خالد حاملا الألعاب والهدايا
من أجل زوجته وولده خالد ، بعد أن استأذن من زوجته الأخرى ،
بعدما طلب الأذن من سلمى ، عاد إلى البيت بعد صلاة العصر في
يوم خميس ، ذهب إلى بيت عمه أبو مريم ، ولما وصل إلى منزل
العم ، وجده خاليا لا يوجد به أحد ، وبينما مهند عائد إلى البيت ،
استوقفه أبو خالد وقال

أبو خالد : لو سمحت .

مهند : نعم .

أبو خالد : أين ذهب جيرانكم هؤلاء ؟

مهند : من هم ؟

أبو خالد : العم سعيد وزوجتي وابني .

مهند : أنت أبو خالد .

أبو خالد : نعم ما الذي حدث ؟

مهند : تسأل الآن ، تسأل بعدما دمرت بيتك ، تسأل بعدما نسيت
زوجتك وابنك ، تسأل عن تلك التي لاقت الويلات وأنت في زواج
وفرح وسبات .

أبو خالد : ما الذي حدث ؟

مهند : العم سعيد أعطاك عمره بعد زواجك وسفرك بيومين ،
وزوجتك رحلت لا ندري إلى أين بعدما علمت بزواجك .

أبو خالد : لا . ما الذي تقوله ؟ هل أنت جاد ؟

مهند : نعم .

أبو خالد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبدأ في البكاء واستوقفه

مهند وقال

مهند : لا تتظاهر بالبكاء ، ولا تتظاهر بالحزن والأسى ، من أجل
ما احد يضحك عليك ، أبو زوجته مات من ثلاثة أسابيع والآن
يدري .

أبو خالد : لم يخبرني أحد .

مهند : قل أنت لم تسأل عنهم من يوم أن تزوجت .

أبو خالد : طيب . أين زوجتي ؟ أين ابني ؟

مهند : لا أستطيع أن أقول لك شيئاً فقد استحلقتني أن لا أخبرك ،
ولكن اطمئن إنها بأيد أمينة ، كل ما أستطيع قوله : للأسف أنت
دمرك بيتك بنفسك ، فتحمل نتائج تسرعك ، وبينما هو ذاهب قال
لأبي خالد : أرجو ألا تذهب إليها ولا تبحث عنها لأن نفسيتها
متدهورة وخصوصاً بعدما علمت بأنها حامل بالطفل الثاني .

أبو خالد : هل هي حامل ؟

مهند : وحتى هذه لا تعلم عنها شيئاً .

أبو خالد : والله لا أعلم إلى الآن .

مهند : نعم هي حامل وأرادت أن تسقطه ولكن هدأتها والدتي ثم

قال : يا عم للأسف أنت كسرت كأساً ثميناً لا يمكن أن يعود وإن

عاد فلن يعود كما كان وإنما سيبقى لديه آثار من الكسر .

طأطأ أبو خالد رأسه وذهب إلى بيته وهو يحدث نفسه قائلاً

وآسفاه ما الذي فعلته بحالي .

ذهب إلى البيت وهو مهموم حزين ، طرق الباب .
فتحت سلمى الباب وإذا به محمد حاملا لعبة ابنه خالد والكآبة
واضحة على محياه سألت سلمى قائلة :

سلمى : ما بالك يا أبا خالد ؟

أحمد : لم أتوقع أنها صادقة فيما قالت عندما قالت لي : تزوج
ولكن لن أمكث معك بعدها .

سلمى : من هي ؟

أحمد : إنها حبيبتي وأم ولدي إنها أم خالد ، وآسفاه على ما
فعلت بحالي .

سلمى : أهدأ واذكر الله الأمور سوف تصلح بإذن الله .

أحمد : كيف وأنا لا أعلم إلى أين ذهبت ، كيف تأكل ، كيف تطعم
ولديها ، من يصرف عليها ، هل هي صحيحة أم سقيمة ، هل هي
شابة أم جائعة ؟ لا أعلم . آه ما الذي فعلت بحالي .

لا بد أن أذهب إلى البيت ، ربما عادت إلى شقتنا ، لن تتركني
ليس لها إلا أنا بعد الله .

ذهب إلى شقته بعد صلاة المغرب ، فتح الباب ، وأخذ يقول :

أحمد : مريم ، أين أنت ؟ يا أم خالد ها قد أتيت ، يا خالد ، أتيت
بهديتك ، خلودي أين أنت ، أعلم أنكم هنا ولا تريدون الجواب ، يا
أم خالد ، يفتح الباب تلو الباب ولا أحد ، وبعدما انتهى من

التفتيش في جميع أرجاء المنزل عندها أيقن أنها رحلت وأخذ
يجهش بالبكاء ويتذكر أيامه معها ، ولكن كما يقال (جنت على
نفسها براقش) . أخذت سلمى تتصل عليه وهو لا يجيب عليها ،
أذن لصلاة العشاء وذهب إلى المسجد الذي في قريته الذي كان
يرتاده في الماضي ، ذهب للصلاة ، وبعدما صلى العشاء ، نظروا
إليه جماعة المسجد نظر أسف على ما فعل مع عمه أبو زوجته ،
فالكل لديه الخبر بما فعل ، وهو لا يعلم لماذا هذه النظرات وبعدما

أدى الصلاة والسنة ، كان لديه صديق في ذاك المسجد ، يتحدث معه ، سأله ما بال الجماعة ينظرون إلي هكذا ، أخبره بأنهم قد علموا خبره وقصته ، ضاق صدره وتمنى أن ابتلعه الأرض ولم يحدث له ما حدث .

عاد إلى البيت في قرابة الساعة الحادية عشر ليلا بعدما أخذ ما يحتاجه من أغراض مهمة من شقته ، وفي اليوم التالي ذهب إلى صاحب العمارة وسلم شقته ، حينها ودع شقته ، وودع ذكرياته ، وودع مسجده الذي كان به يصلي ، وعاد ليعيش مع سلمى إلا أن يلقي الحبيبة الأولى .

وفي السبت داوم مبكرا من أجل أن يرى فلذة كبده ، وقرة عينه ، وثمره فؤاده ، وحبيبه خالد ، وقف بعيدا من المدرسة ، ورآه من بعيد وهو يمشي على قدميه حاملا حقيبته بيده ، تحرك مشاعر أبو خالد ، وهم أن يذهب مسرعا ليحضن ولده ، نزل من سيارته مسرعا ذهب قليلا ثم توقف وقال : سألقاه بعد الدوام ، ثم ذهب إلى دوامه وخرج مبكرا من هناك وذهب إلى مدرسة خالد ، وانتظره إلى أن خرج ، ثم تبعه بسيارته بكل لهف وشوق ، يريد أن يرى أين يقيمون ، وذهب خلفه إلى أن وصل خالد إلى البيت ، ثم نزل أحمد كم سيارته ، وطرق عليهم الباب ، قامت أم خالد إلى الباب .

مريم : من عند الباب ؟

أحمد : أنا أحمد .

مريم : من أحمد؟

أحمد : أنا أحمد أبو خالد ... زوجك .

مريم : وما الذي تريده ، لم يعد لديك أهل هنا .

أحمد : افتح الباب أريد أن أتحدث معك قليلا ، ومعى هدية خالد التي وعدتها بها.

مريم : لا أستطيع أن افتح الباب .

أحمد : افتحي الباب أرجوك .

فتح مريم الباب .

أحمد : السلام عليكم .

مريم : لو لم يكن الجواب على السلام واجبا ، لما رديت عليك .

أحمد : لماذا ... ما الذي فعلته أنا ؟

مريم : لم تفعل شيئا ؟

أحمد : لأنني تزوجت عليك ؟

مريم : أنت تعرف لماذا .

أحمد : أنا لم أتزوج عليك إلا لأنني أحبك ، ومن أجلك تزوجت .

مريم : كيف لأنك تحبني تزوجت علي .

أحمد : أنا تزوجت من أجلك ومن أجل ابننا خالد ، فلذلك دعينا

نعود كما كنا ، من أجل ابننا ، وسأفعل أي شيء لتعودي إلي .

مريم : أي شيء ؟

أحمد : نعم ، أي شيء .

مريم : إذا طلق زوجتك ، أنا لا أريد أن يشاركني أحد .

أحمد : ماذا ... ما الذي تقولينه .

مريم : ألم تقل أنك ستفعل أي شيء ، هذا ما أريده .

أحمد : ولكن لا أستطيع .

مريم : لماذا هل تحبها أكثر مني .

أحمد : إنها ليست مسألة حب .

مريم : إذا مسألة ماذا ؟

أحمد : لأنها لأنها

مريم : لأنها ماذا ؟

أحمد : لأنها ... حامل (وهو كاذب فيما يقول)

صعقت عندها مريم ، وقالت

مريم : إذا اذهب إلى زوجتك ، ولا تفكر في ثانية .

أحمد : ولكن أريد ابني .

استدعت حينها خالد وقالت له .

مريم : خالد من تريد أنا أو أبوك .

أحمد : إن أردت تعال معي وسأتي بك إلى هنا كل ثلاثة أيام .

خالد هو الفصل في هذه المسألة ، فكر خالد مليا ثم قال

خالد : أريد أريد ...

أحمد : أنا أليس كذلك ؟

خالد : بصراحة يا أبي أخاف أن تتركني كما تركت أمي ، فأنا أريد

أمي لأنها لم تتخلي عني .

حينها خرج أحمد من المنزل حزينا ، وعاد خائبا إلى سيارته ،

وعاد إلى بيته مهموما حزينا ، قابلته سلمى وقالت : هل تريد

الغداء ؟

أحمد : لا أريد شيئا اتركني لحالي ، كفاية ما حدث لي بسببك .

سلمى : وما الذي فعلته لك ؟

أحمد : ليت أنني لم أعرفك ، ولم أعرف عائلتك ؟

سلمى : لماذا ما الذي حدث ؟

أحمد : ضاعت زوجتي ، والآن رحل ابني عني .

عندها سلمى لم تتنطق بأي كلمة ، لأنها عرفت بأن مصابه عظيم ،

وتركته ليهدأ وينام ويرتاح مما به .

الفصل الخامس:

وأصبح الأب كل يوم يذهب إلى مدرسة ابنه في الصباح وفي

المساء من أجل أن يرى ابنه ، وينظر إلى فلذة كبده .

انتهت الدراسة ، وبدأت الإجازة الصيفية ، وقبل بداية الموسم

الجديد بقرابة شهر ، ولدت أم خالد ، وأتت بولد ، سمته سعيد ،

باسم والدها ، زارتها أم مهند وابنها مهند ، الذين كانوا يقضون لها حوائجها ، ويصرفون عليها ، وعلم أبو خالد بأنه قد أتاه مولد جديد .

مهند قد أنهى المرحلة الثانوية ، وسجل في كلية الهندسة تبعد عن مدينتهم قرابة الـ 200 كيلو تقريبا ، وأرادا أن يغادرا هو ووالدته ، ولكن لا بد أن يخبروا جارتهم ، وبعدما خرجت أم خالد من المستشفى هي وسعيد ، ذهبت أم مهند إليها في البيت وأخبرتها بأنهما يريدان الرحيل هي وولدها من أجل كليته ، وحزنت أم خالد ، كيف لها ألا تحزن وهم من ساعدوها ، وهم من كانوا يقضون عنها حوائجها ، كيف لها ألا تحزن وهم من كانوا يؤنسوها ، ولكن ماذا بيدها أن تفعل ، وسألت أم خالد قائلة
أم خالد : ومتى الرحيل ؟

أم مهند : غدا بإذن الله بعد صلاة الفجر .

أم خالد : أدعوا الله لكم بالتوفيق والسداد ، وهل ستمكثون هناك إلى الأبد ، أم تعودا إلينا .

أم مهند : سوف نعود في أيام الإجازات بإذن الله .

وعندها احتضنتها أم خالد بكل حرارة وألم ، وأعطت أم مهند أم خالد بعضا من المال ، مساعدة لها ، كي تقضي به بعض أغراضها . وسلمت على خالد وسعيد ثم رحلت .

وفي اليوم التالي غادروا إلى بلدهم الجديد .

استخدمت المال الذي أعطتها أم مهند ، بكل اقتصاد لمدة وجيزة ، من حليب لولدها وما يحتاج إليه الطفل الرضيع ، ومن ملابس وأغراض مدرسية لابنها الآخر ، ومع بداية الدراسة انقضى جميع المال الذي كان لديها ، وقالت لابد أن ابحث عن عمل ، داوم ابنها الأسبوع الأول من الدراسة وهو لا يملك لا ريالاً ولا رغيف خبز حتى ، أخذت تبحث عن عمل لها لكي تطعم صغارها ،

تطرق باب الجيران كل يوم في الصباح ، جارا تلو الجار ، وكل يردّها ، وتعود في الظهر وهي لم تجد شيئا ، تزداد الحالة سوءا ، فهم لا يأكلون سوى رغيف خبز يابس له يوم أو يومان ، وبعد ثلاثة أيام من البحث ، انقضى ما كان في المنزل ، وجلسوا يوما كاملا من دون أية طعام ، صغيرها يبكي ، وخالد هناك على الجوع منطوي ، يا الله ما العمل ؟ عندها وفي الصباح بعدما داوم ابنها ، أخذت تبحث عن محل تبحث لها عن طعام ، وبينما هي ماشية على قدميها رأت محلا للملحمة ، ذهبت إلى هناك ، وجلست بقربه ، وكلما قطع الجزار لحما ، وتساقط بعضه ، رفعت ما يتساقط ولتمته في كيس وأخذته إلى المنزل ، لتعد لابنها الطعام ولكي تتغذى هي من أجل أن يدر حليبها على صغيرها ، وخالد في ذلك اليوم ينظر إلى الأطفال وهم يأكلون ويفطرون وهو له يوم لم يأكل أي شيء ، ينظر إليهم فبعضه يبقى من خبزه نصفه ويرميه ، تبادرت إلى ذهنه فكرة ، أن يلتم ما رموه ، ويذهب به إلى أمه وأخيه ، وفي الحصة التي بعد الفسحة ، استأذن خالد من المعلم ، يريد دورات المياه ، وأذن له المعلم ، وهو يريد الذهاب ليتم ما رماه زملائه من الطعام ، ويرمي الكيس من فوق سور المدرسة من الجهة الذي يذهب منها إلى بيته ، وعند المغادرة يمر عليه ويأخذه ، ولما ذهب به إلى البيت سألته أمه

أم خالد : من أتيت بهذا ؟

خالد ، من المدرسة .

أم خالد : ألم أقل لك لا تسأل أحدا شيئا حتى ولو كان شيئا قليلا ، نموت ولا نسأل الناس شيئا .

خالد : أمي ... أنا لم أسأل أحد شيئا ، ولكن رأيت زملائي يأكلون بعض الخبز ويرمون الباقي ، فأخذت الباقي الذي رموه ، ألا يحق لي أن أكل كما يأكلون ، هم يرمون نصف الخبز وأنا لا أجد ما

أكل أليس هذا حراما يا أمي .
عندها بكت أمه واحتضنته وقالت (حسبي الله عليك يا أحمد أنت
من أوصلتنا إلى هذه الحالة)
استمروا على هذه الحالة ، الأم تأتي ببقايا اللحم ، والابن يأتي
ببقايا الخبز ، هكذا كان قوتهم (يحسبهم الجاهل أغنياء من
التعفف .)

وتمر الأيام وراء الأيام ، وقبل نهاية الموسم الدراسي من السنة الثانية الابتدائية لخالد ، كان هناك حفلا للمتميزين في جميع المراحل ، وكان خالد من بينهم ، وطلبوا منهم إحضار أولياء أمورهم ، وفي اليوم التالي ، وقبل بداية الحفل ، أتى كل طالب متميز بأبيه ، إلا خالد لم يأت بأحد ، هناك سأله المرشد :

المرشد : خالد ، أين أبيك ؟

خالد : لم أخبره .

المرشد : ولماذا ؟

خالد : لأن لأن ... (أتت هذه الفكرة في رأسه) لأن أبي ماأالت.

صعق المرشد من هول ما سمع ، وأخذ يضم خالد إلى صدره
ويحاول أن ينسيه حزنه ، وأخذ بيده إلى الحفل ، وأجلسه بقربه ،
ليندمج مع زملائه ، ظنا منه أن هذا الطفل كما قال بأنه يتيم .
انتهى الحفل ، وسلمت الجوائز ، وذهب خالد إلى البيت فرحا
بجائزته وتفوقه ، وفرحت أمه لفرحه ، وأخبرها بما حدث معه ،
وأنه أخبر معلمه بأن أبيه مات ،
سألته أمه

أم خالد : لماذا قلت هذا يا بني .

خالد : ولكن يا أمي هذه هي الحقيقة .

أم خالد : كيف هذى هي الحقيقة ؟

خالد : أماه ... أين أبي الذين تتحدثين عنه ، أين هو كي يعطيني
المصروف ، أين هو ليوصلني إلى المدرسة ، أين هو ليذهب بي
إلى المنتزهات ، أمي .. أسمع زملائي يتكلمون ويحترمون آباءهم
وأنا لا أستطيع أن أذكر فيه ميزة واحدة ، سألوني عن أبي فماذا
أقول لهم ، أبي مفارق أمي ولا يريدنا ، أم أمي لا تريد أبي ، أم
ماذا أقول ، أنا لن أقول أبي لا يريدنا ولا نحن نريد أبي سأقول
أبي مات لأنه مات بالنسبة إلي ، مات بالنسبة إلي . وأخذ يبكي
فاحتضنته أمه وهي كذلك تبكي وقالت أم خالد : نعم إن أبوك مات
بالنسبة إلينا جميعا .

ولم يبق إلا أسبوعان لنهاية الموسم الدراسي ، وحدث ما لم يكن
في حسابان خالد ، لقد أتى أبو خالد إلا المدرسة ، وذهب إلى
المرشد، وسأله عن مستواه ، وأخبره بأنه متفوق في دراسته ،
وسأل المرشد قائلا :

المرشد : أهلا .. أهلا لأبد أنك عم الفتى أو خاله .

أبو خالد : لا ، أنا والده .

عندها صعق المرشد من هول ما سمع ،

المرشد : ماذا تقول ؟

أبو خالد : أنا والده .. لماذا ألم تصدق .

المرشد : بلى .. ولكن خالد أخبرني بأنك متوفى .

أبو خالد : ماذا ! ابني هل قال هذا ...

المرشد : نعم والله أخبرني قبل أسبوع من الآن بأنك متوفى
وحزن كل من في المدرسة عليه ، لكن هل أنت منفصل عن أمه

أبو خالد : لا ، لم يحدث هذا .

المرشد : هل أنت تقطن معهم ؟

أبو خالد : أزورهم يوما تلو يوم لأنني متزوج أخرى .

استغرب المرشد من موقف خالد ، ولماذا كذب عليهم بشأن أبيه ، ولم يعلم بأن الزيارة التي يذكرها أبو خالد هي من بعيد لبعيد ، وهو في سيارته ، ينظر إلى البيت ثم يعود .
أيقن أبو خالد أنه لم يبق لديه القبول لدى ابنه ، وغادر المدرسة وقد ازداد حزنا وألما ، وازداد حسرة وندامة على ما بدر منه .
عندها أيقن المرشد بأن خالد يكذب ، فغير تصرفه معه ، من الحنان والرفق إلى العنف ، ومن اللين إلى الشدة ، وازداد كراهية لخالد ، وهو لا يعلم ما القصة ، ولماذا قال هذا ، واعتبره يكذب في جميع أموره .

وفي يوم من الأيام مرض خالد مرضا شديدا ، واشتد عليه المرض ، أخذت أمه تبحث عن أحد ليوصله إلى المستشفى ، ولم تجد ، فتركت صغيرها عند جارتها ، وشالت ابنها خالد وذهبت به إلى المستشفى الذي يبعد عن المنزل قرابة كيلو واحد تركض و تركض إلى أن وصلت ، وعندما وصلت إلى المستشفى ، تدخل الأطباء ، وأسعفوه وقال الطبيب
الطبيب : هل أنت والدته ؟

مريم : نعم .

الطبيب : لو تأخرت قليلا لفقدت ابنك .

مريم : وهل حالته الآن مستقرة .

الطبيب : إن شاء الله ، ولكن لا بد أن يمكث عندنا يوم أو يومين .

مريم : لابد .

الطبيب : نعم لا بد ، ولماذا ؟

مريم : لأن والده غير موجود حاليا ، وأنا أريد أن أرافق معه ولكن لدي طفل صغير لم يبلغ الستة أشهر فإذا لم يكن هناك مانع أن أتي بطفلي وأجلس مع خالد ؟

راعى الطبيب حالتها ووافق على ذلك .

وعادت مريم إلى البيت مشيا ، وأخذت طفلها من عند جارتها
وشكرت لها ما صنعت ، وأخذت بعضا من الملابس وذهبت إلى
المستشفى مشيا كذلك .

باتا في المستشفى يومين ، وفي اليوم الثالث أتى الطبيب وكشف
عن حالته وأخبر والدته بأنه بحالة جيدة ، وقال الطبيب

الطبيب : أريد أن أسأل سؤال ؟

أم خالد : تفضل .

الطبيب : خلال اليومين الماضيين لم يزركم أحد ، هل والد الفتى
حي أم لا ؟

أم خالد : لا . إنه متوفى .

الطبيب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن هل لديه أعمام ، أم لا ؟

أم خالد : لا يوجد لديه لا أعمام أو أخوال .

الطبيب : ولكن من يعولكم .

أم خالد : هناك أناس يفعلون الخير لنا .

الطبيب : إذن هل لديكم من يوصلكم إلى المنزل أم لا ؟

أم خالد : نعم هناك من سيوصلنا .

الطبيب : إذن اهتمي بخالد .

أم خالد : إن شاء الله ، ولكن هل حالته مستقرة .

الطبيب : نعم .

أم خالد : هل بإمكانه غدا أن يذهب إلى المدرسة .

الطبيب : نعم بإمكانه ، ولكن خذي هذه الورقة واصرفيها من
الصيدلية .

أخذت أم خالد الورقة وصرفت العلاج ثم ذهبت إلى المنزل مشيا
من دون أن يقتلهم أحد ، والطبيب يراقبها وعلم بأن لا أحد سيقفلها

ولكن ما الذي يفعله فليس له أن يجبرها على أن يوصلها ،
وعادت العفيفة إلى بيتها مع طفلها ، وتركته في المنزل ثم
ذهبت إلى مكانها العادة ، أتدرون أين؟

إنه مكان الملحمة لتلتقط بعض اللحم الساقط لتعد لأطفالها الطعام
، وعندما رآها صاحب الملحمة تأتي يوميا ، أشفق عليها ، ومن
له ألا يشفق عليها إذا رآها بهذه الحالة ، فليتك تنظر يا أبا خالد
ما حل بأهلك ، وأعطاه صاحب الملحمة قطعة نظيفة من اللحم ،
أخذتها وشكرته على ما فعل ثم عادت إلى المنزل وأعدت
لصغارها الطعام .

وفي اليوم التالي ذهب خالد إلى المدرسة ، وفي الطابور الصباحي
قام أحد المعلمين وهو الذي أخبره خالد بأن أباه مات وهو المرشد
الطلابي في المدرسة ، وأخذ الميكرفون ثم أخذ يتحدث عن
السراقات التي حدثت في المدرسة خلال الأيام الماضية وأنها بدأت
تكثر وتنتشر في المدرسة وخصوصا في الصف الثاني الابتدائي ،
أي في فصل خالد ، وأخذ يتوعد بأن من فعل ذلك سوف يعاقب
عقبا عسيرا ، ثم انصرف الطلاب إلى الفصول ، وكالعادة وبعد
الفسحة استأذن خالد من المعلم ، ثم ذهب يلم الخبز ، ولما ذهب
ليرمي من أعلى الجدار رآه المرشد ، ثم صعد عليه وناداه ، فلما
أتى خالد وهو خائفا من أن يعرف المرشد حالته وتغضب عليه
أمه ، ولما سأله عن الذي رماه ، قال لا شيء ،
المرشد : أنا رأيته ترمي بكيس من أعلى الجدار ؟
خالد : إنه كيس لا يوجد به شيء .

المرشد : بل رأيته معبأ ؟

خالد : لا أدري ما الذي به .

المرشد : مسك أحمد من ثوبه وقال : إلا متى ستكذب علي أيه
الكاذب ، الآن عرفت لماذا تغيبت قى اليومين الماضيين ، حتى

تخفي جريمتك ، أيها السارق .
خالد : أنا لم أسرق شيئاً ، وإنما تغيبت لأنني كنت نائماً في
المستشفى.

المرشد : اذهب وآت لي بالكيس .
خالد : لا ادري أن رميته.

أخذ المرشد بتلابيب خالد وذهب به إلى خارج المدرسة ، وخالد
يصيح ، لا يريد لأي أحد أن يعلم ، ويحاول الهروب من يدي
المرشد ، ولكن المرشد محكم القبضة على خالد ، وذهب به إلى
موقع الكيس ، وأخذه المرشد ثم عاد إلى المدرسة ، وذهب به إلى
مكتبه ،

المرشد : اتصل على أبيك وأخبره أن يأتي .
خالد : ولكن أبي مات .
المرشد : أيها الكاذب الحقيير ، لقد أتى أبوك بعدما أخبرتني بأنه
متوفى .

خالد : ماذا ماذا تقول ؟
المرشد : نعم أيه الكاذب .
عندها بكى خالد وقال أرجوك لا يدري أبي بما حدث أرجوك .
حينها أشفق المرشد وقال
المرشد : إذا لماذا تسرق يا بني ؟
خالد : أنا لم أسرق .
المرشد بكل عصبية أخذ الكيس وقال إذا ما هذا ونثر ما في
الكيس .

ولما رأى المرشد الخبز وقد تساقط هنا وهناك بهت من شدة ما
رأى ، ونظر إلى خالد وقد أغمض عينيه ، وصاح بشدة : لا ، قد
كشف أمري .

عندها سقط المرشد يبكي وأخذ يحضن خالد .

خالد : أرجوك لا تخبر زملائي ، أرجوك يا أستاذي .

المرشد : ولكن يا بني أين أبوك ؟

خالد : أبي تزوج ونسينا ، وأمي الآن لا تريده .

المرشد : ولكن لماذا لم تخبرني بقصتك لكنت أنا لك الأب
وأعطيتك ما تريد .

خالد : أُمي أخذت علي عهدا أن لا أخبر أحدا بحالتي ، ولا أطلب
الناس شيئا ، ولكن ما الذي أفعله إذا لم يوجد عندنا خبز ، وأخي
لا يجد ما يأكل .

المرشد : إذا من كان يأتي لكم بأغراض الطعام ؟

خالد : لا أحد ، أُمي تذهب إلى محل الملحمة وتأخذ اللحم
المتساقط ، وتأتي به ، وأنا آتي بالخبز الذي يرمى ، ونتغذى به .

حينها بكى المرشد بكاء مريرا ، وقال .

المرشد : كيف تذهب إلى البيت ؟

خالد : اذهب مشيا على الأقدام .

المرشد : اليوم سوف تذهب معي ، ومن الآن أنا مثل أبوك أي
شيء تريده فاطلبه مني ، وأي شيء ينقص عليكم فأخبرني .

خالد : ولكن أُمي سوف تغضب .

المرشد : لا عليك ، أنا سأكلمها .

والأم هناك هي وطفلها عند الملحمة ، وبينما هناك إذا أتى شخص
من الأشخاص ليشتري لحما ، فرآها تلتقط ما يسقط من اللحم ،
وسأل عنها صاحب الملحمة وأخبره بأنها تأتي إلى هنا يوميا ،
وتفعل مثل هذا الفعل ، وأشفق عليها ، وقال لصاحب الملحمة ،
بأن يعطيها كل اثنين وخميس كيلو من اللحم في حياتي وبعد
مماتي ، وعندما ذهب ، استدعى الجزار الأم

الجزار : خذي هذا الكيلو اللحم ، وتعالى إل هنا كل يوم اثنين

وخميس لتأخذي مثلها .

أم خالد : شكرا لك ، ولكن هذا كثير .

الجزار : إنه ليس من عندي إنه مع الشخص الذي رحل الآن ولم يطلب منك إلا الدعاء .

أخذت تدعي أم خالد له ، ثم أخذت اللحم وانصرفت .

وفي نهاية الدوام ذهب خالد مع المرشد ، وبينما هم في الطريق مر على متجر هناك وأخذ ما يحتاج إليه المنزل من أرز وبر وطحين وزيت وغيرها من الأغراض ، ولما وصلا إلى البيت ، أنزل المرشد الأغراض إلى منزل خالد ، ووضعها عند الباب ، وأم خالد هناك

المرشد : هذه يا أختي أغراض بسيطة للمنزل .

أم خالد : شكرا لك ولكن لدينا ما يكفي من الطعام .

المرشد : لقد عرفت قصتكم ، وخالد أخبرني أنك لن تقبلي ولكن أنا من أصر على ذلك ، فلذلك يا أختي لا تحرميني من الأجر ، وغدا سأتي صباحا لأقل خالد إلى المدرسة ، ومصروفه علي .
أم خالد : لا دعه يمشي فالمدرسة قريبة من هنا ، ويكفي أنه سيفطر هنا ، لماذا تكلف على نفسك .

المرشد : أريده أن يكون ابني ، لأنني ليس لدي أبناء ، فأنا متزوج من عشر سنين .

أم خالد : الله يرزقك الذرية الصالحة ، وأن يعطيك على قدر نيتك ، إذا ما دام الأمر هكذا فلا بأس .

المرشد : ولكن قبل أن أذهب لدي شرط .

أم خالد : وما هو ؟

المرشد : أنك لا تعاقبي خالد لأنه أخبرني .

أم خالد : إني لن أعاقبه ، ولن أعاقبه فهو لم يفعل ذلك عن قصد .

المرشد : حسنا إذا إلى اللقاء ، وأي شيء تريدونه هذا رقمي
وخالد عندي في المدرسة .
أم خالد : حسنا إذا إلى اللقاء.

الفصل السادس :

وبعد الصبر ، وبعد التعب ، وبعد النصب ، يأتي الفرج من الله ،
لم يسألوا أحدا غير الله سبحانه ، فرزقهم من حيث لا يحتسبون ،
فهذا كان حالهم عندما تركهم أحمد ، ولكن هو في عيشة هنية ،
وعيشة مرضية ، لا يذهب إلى الدوام إلى بعد الإفطار ، ولا يعود
إلا وغداؤه جاهز ، ثلاث وجبات يوميا ، وزوجته وابنيه كانوا لا
يجدون وجبة واحدة في اليوم ، ولكن بعث الله إليهم من يهتم بهم
، فما بعد الصبر إلا الفرج ، فله الحمد على كل حال ، فدوام
الحال من المحال ، وهذا كما يحكى ويقال .
تمر الأيام والسنين ، ، وتنتهي السنة الثانية والثالثة ، والرابعة ،
وبدأت الأيام تنسي أحمد أهله ، وبدأ يخف من الذهاب إلى
المدرسة ، إلى أن ترك الذهاب إلى هناك بالكلية ، وعندما أنهى
المرحلة الابتدائية ، كل هذه السنوات كان من يصرف عليهم
ويهتم بهم ، إنه المرشد ، أخذ شهادة مهند ، وسجله في المرحلة
المتوسطة ، وعندما قبل خالد ، وبينما هم عائدون إلى البيت ، إذا
بخالد يلتفت إلى المعلم ويقول.

خالد : أستاذي ، هل أقول لك شيئا ؟

المرشد : تفضل يا بني .

خالد : أريد أن أناديك باسم لطالما كنت أريد أن أردده على لساني
، اسم غالي على قلبي وليس أي أحد يستحقه ، ولكن هل توافق
عليه.

المرشد : سأوافق على أي لقب أو اسم تطلقه علي .

خالد : هل أناديك بـ..... ب

المرشد : بماذا يا بني .

خالد : بأبي .

المرشد : لم يتمالك المرشد نفسه فنزلت الدمعة على خديه ، وكيف له أن لا تسقط وهو له ما يقارب الخمس عشرة سنة وهو لم ينادى بهذا الاسم ، فحق له والله أن يبكي .

عندما رأى خالد الدمعة على خدي معلميه قال

خالد : إذا لم ترض بهذا اللقب فلن أقوله لك مرة أخرى .

المرشد : لا والله إنه ليشرفني أن تقول لي هذا ، ولي الشرف أن تكون ابني ، فمن لا يفخر بابن مثلك .

ومن هذه اللحظة ، بدأ ينادي خالد المرشد بأبي ، وأطلق على المرشد من حينها بكنية (أبو خالد) وعند تخرج خالد من الابتدائية ، هناك شاب تخرج من المرحلة الجامعية ، أتدرون من هو إنه مهند ، وتعين مهند في نفس المدينة التي كان يعيش بها ، وعاد إلى مسقط رأسه ، وأصبح مهندسا في شركة كبيرة ، وفرحت أم خالد لما رأت أم مهند وعرفت بأنها لن ترحل مرة أخرى .

أصبح خالد في السنة الثانية المتوسطة ، وسجل أخوه سعيد في نفس الابتدائية التي درس بها ، وكان يوصله معلمه الذي تكفل به وأصبح مثل أبيه ، وبعد نهاية الاختبارات من الفصل الدراسي لهذه السنة ، وفي يوم أخذ الشهادة ، مرض المعلم وأراد خالد أن يذهب إلى المدرسة مشيا على الأقدام ، ولكن أمه رفضت ذلك ، ولكنه أصر على الذهاب ، ذهب وأمّه في قلق عليه ، وأخذ الشهادة وكالعادة إنه الأول على الفصل ، وهو عائد إلى أمه فرحا مبسوطا ، وبينما هو يمشي على الرصيف ، وهو يركض فرحا ، إذا أنت إليه سيارة مسرعة ، سيارة أحد الشباب الطائش ، هناك

كانت المصيبة ، هناك وقعت الكارثة ، صدم خالد ، ومن قوة الصدمة ، ارتفع خالد إلى الأعلى ثم سقط على الأرض ، وأمه في البيت هنالك سقطت على الأرض ، لأنها أحست بضناها ، وكيف لها أن لا تحس بقطعة من جسدها ، هرب ذلك السائق ، واجتمع الناس على ذلك الطفل البريء ، والدماء تملأ الأرصفة ، وامتلات شهادته بالدماء ، اتصل أم خالد بمهند وقالت

أم خالد : السلام عليكم يا مهند .

مهند : وعليكم السلام يا خالة ، أمري ماذا تريدین .

أم خالد : أريدك أن تذهب لخالد ، ذهب إلى المدرسة ليأخذ

الشهادة ولكنه لم يعد .

مهد : حسنا يا خالة سأذهب إليه .

ذهب مهند إلى المدرسة ، وهاهو يقترب من موقع الحدث ، إذ

رأى التجمعات ، والصيحات والويلات ، ركن السيارة وذهب إلى

هناك ، سأل أحد الشباب هناك ، ما الذي حدث قال له

الشباب : طفل هناك مصدوم.

مهند : وأين الذي صدمه ؟

الشباب : لقد هرب.

مهند : كم الحادث وقت من وقوعه .

الشباب : نصف ساعة تقريبا .

مهند : هل عرفتم الطفل ؟

الشباب : يقولون إنه من المتوسطة هذه.

هناك ترك مهذب الشاب وذهب مسرعاً يخترق الصف تلو الصف ،

رأى ذلك الطفل ، إنه خالد ، نعم إنه خالد ، صاح صيحة قوية ،

خاتمة

انکب علیہ یبکی ، ویقول أنا مهند یا خالد ، وأخذ مهند ینادی من

بجواره هل اتصلتم بالإسعاف ، ويجاوبونه بنعم ، التفت خالد إلى

مهند وأعطاه الشهادة التي انقلبت إلى اللون الأحمر من كثرة الدماء ، ودخل خالد في غيبوبة ، أتى الإسعاف ، أخذوا خالد إلى الإسعاف ، وذهب مهند معه ، وأم خالد في البيت تنتظر ضناها ، لقد تأخر عليها ابنها ، ومهند لم يطمئنها ، وصل إلى المستشفى أدخلوه إلى غرفة العمليات ، ومهند خلف الباب ينتظر ، اتصل على المعلم ، وأخبره بما حدث ، وأتى إليهم مسرعا ، وأم خالد قلبها على نار ، تريد من يطمئنها على مهند وابنها ، ولكن الكل مشغول ، وبعد أذان الظهر ، اتصلت أم خالد على مهند، لم يجب في المرة الأولى وهي تعاود الاتصال وفي المرة الثالثة أجاب عليها ،

أم خالد : أين أنتم يا بني ؟

مهند : نحن لا زلنا في المدرسة لأن الشهادات تأخرت .

أم خالد : مستحيل أنكم في المدرسة .

مهند : ولماذا يا خالة ؟

أم خالد : لأن قلبي ليس مطمئن إلى كلامك .

مهند : اطمئني يا خالة فنحن كما قلت لا زلنا بالمدرسة .

وفي هذه الأثناء يخرج الطبيب ، ويقول من هو ولي أمر الطفل ، قال مهند : أنا ، وقال المعلم : أنا ، ونسي مهند أن يغلق السماعة ، وأم خالد تسمع ما يدور بينهم .

مهند : أخبرنا يا دكتور هل حالة خالد في خطر (والأم تسمع ما

يدور ، اضطرب قلبها من هول ما سمعت)

الطبيب : نحن عملنا الذي علينا ، والباقي على ربنا .

المعلم : هل سنفقه يا دكتور ؟

الطبيب : لا أعلم ، ولكن سيبقى في العناية المركزة إلى أن يفيق .

وإذا بصيحة سمعها الطبيب ، ومهند والمعلم الحبيب ، من أين

مصدرها يا ترى ، ومن أين خرج هذا الصوت ، وينظر مهند إلى هاتفه وإذا به لم يغلق السماعة ، فقال
مهند : ألو ، يا خالة .

أم خالد : لماذا يا مهند كذبت علي ، لماذا يا مهند لم تخبرني
لألحق بضنائي ، لماذا يا مهند لم تخبرني من قبل .
مهند : يا خالتي أردت إخبارك ولكن لا حقا ، يا خالتي خفت على
صحتك ، يا خالتي أردت أن أحمل بعضا من العبء عنك .
أم خالد : ولكن أين أنتم الآن ، وبأي مستشفى ، وكيف ابني ؟ .
مهند : سأمر عليك الآن وأخذك معي .

ذهب مهند إلى أم خالد وأخذها معه ، وأخذ أمه كذلك ، وخالته
تصيح من البكاء ، وهو يهدئها ويقول يا خالتي لا تخافي إنه بخير
إن شاء الله ، يا خالتي هدي من روعك ، كيف لي أن أهدأ وهذا
ابني ، كيف لي أن أهدأ أو أن ترك البكاء وحياتي كلها بكاء وألم ،
عمي وعمتي ماتا ، وأبي مات ، وزوجي تركني ، وابني الآن
ربما يموت ، وأم مهند تقول لا تخافي بإذن الله سيشفى ويعود كما
كان بإذن الله .

وصلوا إلى المستشفى وأم خالد تذهب بسرعة إلى العناية ،
وترى ابنها من خلف الزجاج ، وتبكي وتقول :

أم خالد : بني ، هل سترحل وتتركني ، بني ، هل ستموت وتزيد
حزني ، بني ، هل ستتركني وينفطر عليك قلبي ، لن ترحل أليس
كذلك ، ألم تقل لي يوما بأنك ستعيش معي إلى الأبد ، ألم تقل لي
يوما لا تحزني يا أمي أنا موجود ، قل لي بأنك لن تتركني ، ليس
لي بعد الله إلا أنت ، وهي تبكي وتزيد في البكاء ، وفجأة إذا
بالجرس يطرق لقد انتهت الزيارة .

قال مهند هيا يا خالة ، لقد انتهت الزيارة ، وسنعود له غدا إن
شاء الله ،

أم خالد : لن أذهب ولن أتحرك من هنا ، كيف لي أن أنام وخالد هنا ، كيف لي أن أنام وخالد ليس بقربي ، قل لي بربك كيف لي أن أنام.

مهند : يا خالتي لن يتركوك تبقيين بقربه .

أم خالد : وحتى لو طردت سأبقى في الخارج بجانب الباب ، على الأقل يبقى خالد بقربي ، وحتى لو أراد شيئا أعطيه .

ذهب مهند إلى المدير يريد أن يستأذنه في أن تبقى أم خالد هنا ، ومن حسن حظه أن وجد أحد زملائه هو المدير المناوب في تلك الليلة ، أخبره مهند بالوضع ، رفض المدير في البداية ، ولكن مهند أصر عليه حتى وافق .

ذهب مهند وأمه ومعلمه وسعيد من المستشفى وبقيت هي عند ابنها ، جلست هناك بقرب الباب ، وهي تدعو الله ، وتبكي وتصر في الدعاء ، وعند الساعة الواحدة ليلا ، طلبت مريم من إحدى الممرضات سجادة للصلاة ، أعطوها السجادة وسألت عن القبلة ثم اتجهت إليها ، فأخذت تصلي تلك الليلة كاملة ، وتلح في الدعاء لربها ، حتى أذن لصلاة الفجر ، وجلست تدعوا الله حتى الشروق ، وعند الساعة الثامنة ، دخل الطبيب للكشف على حالة خالد ، وعند خروجهم ، استوقفتهم الأم الحنون ، وقالت مريم : بشرني يا دكتور هل حالة ابني في تحسن ؟ الطبيب : لا أدري نحن عملنا الذي علينا ، والباقي على الله . مريم : هل سافقده يا دكتور . الطبيب : لا أعلم يا أختي ، ولكن ادعي الله له .

عندها بكت بكاء مريرا ، وأخذت تلهج بالدعاء يا رب لطفا بابني ، يا رب من لي سواك فادعوه ، ومن لي غيرك فارجوه ، يا رب اشف ابني ، اللهم اشفه ، اللهم منّ عليه بالشفاء ، وارفع عنه كل

بلاء ، وادفع عنه كل ضراء ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا رب العالمين.

ويمر اليوم تلو اليوم ، والأسبوع تلو الآخر ، وخالد تحت العناية.

الفصل السابع:

لا زال خالد تحت العناية ، وموصل بالأجهزة ، وينتظر لطف الله وفرجه ، وأمه قي حالة يرثى لها ، لا تأكل كما يأكل الناس ، ولا تنام كما ينامون ، كلما قيل لها يا خالة كلي ، أو اشربي ، ترد قائلة ، كيف لي أن أكل وابني جائع ، وكيف لي أن أشرب وابني عطشان ، وكيف لي أن أدوق طعم النوم وابني يعاني الآلام ، أبنني استيقظ أرجوك ، أبنني رد علي أرجوك ، أبنني انظر إلي أرجوك ، أبنني لم أترك يوما الدعاء ، ولم أمل أطلب الله وأرجوه رجاء ، أن يمن عليك بالشفاء ، فاستيقظ فيكفيني بكاء.

وفي يوم من الأيام ، وبعد شهر من دخوله المستشفى ، وبينما أمه تنتظر إليه من خلف الزجاج ، إذا به بدأ بالحركة ، ذهلت أمه وقالت ، لقد تحرك ، نعم والله لقد تحرك جسده ، وبدأ شيئا فشيئا يفتح عيناه ، فرحت أمه حتى كادت أن تكسر الزجاج لتدخل عليه ، أخذت تجري في المستشفى ، وهي تبحث عن الطبيب المسئول ، وهي تصيح بأعلى صوتها ، ابني استيقظ ، أيا دكتور ابني فاق ، أيا أطباء تعالوا وانظروا إلى ابني وأنتم يا رفاق ، أسرع الأطباء إلى خالد ، ودخلوا عليه ، وعملوا له الفحوص اللازمة ، ثم خرجوا ، استوقفتهم أم خالد ، وقالت

مريم : ما به يا دكتور ؟

الطبيب : لا شيء يا خالة ، ابنك في أحسن حال ، ولتكن لديك فكرة وهي أن ابنك من الحالات النادرة التي تقاوم هذه الإصابات ، فما ينجو منها إلا القليل.

مريم : ومتى سألامسه ، ومتى أستطيع أن أقبله.

الطبيب : قريبا يا خالتي إن شاء الله.

مريم : لماذا ليس الآن ؟؟؟

الطبيب : ممنوع يا خالتي الدخول إليه في غرفة العناية ، ولكن سيخرج غدا منها أو بعد غد وبعدها قبله على راحتك.

ذهبت أمه إلى المنزل في تلك الليلة لترتاح فهي لم تريح أعصابها من ذو دخول ابنها إلى المستشفى ، وفي اليوم التالي عادت إلى المستشفى ، وبينما هي ذاهبة إلى العناية ، ترى الأطباء مجتمعين عند غرفة خالد ، دهشت من هذا المنظر ، وخافت على ابنها من بعد أن اطمأنت عليه ، وأخذت تجري بالمستشفى إلى أن وصلت إلى غرفة خالد ، وهي تقول للأطباء ماذا بكم ؟ وما خطبكم ؟
الطبيب المسئول : لا شيء يا خالة وإنما ابنك لا يستطيع الحركة

مريم : ماذا ؟ ما الذي تقوله يا دكتور ؟

الطبيب : هذا ما حدث يا خالة ، ولكن لا بد له فترة من الزمن حتى يستطيع الوقوف عليها والحركة.

مريم : حزنت أم خالد أيما حزن ولكنها في نفس الوقت فرحة بأنها لم تفقد ضناها.

خرج خالد إلى غرف التنويم ، وجلس هناك بضعة من الأيام ، وبعد أسبوع عاد إلى منزله ، وعاد إلى مستقره ، عاد إليه بعد شهور من الزمن ولكن ليس كما خرج منه ، فقد خرج منه يمشي على رجله ، والآن يعود إلى هناك وهو على كرسي متحرك ،

وتمر الأيام ، وبعد أسبوع من خروج خالد من المستشفى ، وفي يوم من الأيام ، وبعد صلاة العصر ، إذا بطارق يطرق الباب ، من يا ترى ، فتح سعيد الباب ، وإذا بشخص غريب ، لم يره سعيد من قبل ، شخص عابس كئيب.

سعيد : من أنت ؟

أبو خالد : أين مريم ؟ ومن أنت ؟

سعيد : إنها بالداخل ، وأنا سعيد.

أبو خالد : أنت ولدها ؟

سعيد : نعم ، ومن أنت ؟

أبو خالد : اذهب ونادها لي.

وإذا بخالد أتى من الخلف ، على ذاك الكرسي المتحرك ، وهو يقول:

خالد : سعيد ، من على الباب ؟

سعيد : لا أدري رجل يريد أمي.

وصل خالد إلى الباب ، وإذا به ذهل مما رأى ، صاح يقول أبي

!!!

سعيد : أبي ، كيف يكون أبي ، أبي مات ، وإذا كان أبي حقيقة فأين هو كل هذا السنين.

أبو خالد : أريد أمك ، أين هي ؟

أدخل خالد والده إلى الصالة ، وأتت مريم ، وهي تقول ما الذي تريد بعد كل ها السنين.

أبو خالد : أنت كل هذه السنين في سعادة مع ابنك ، وأنا أتجرع المرارة والأسى ، زوجتي لا تنجب ، وأنا لما علمت أن لديك ابنين أتيت لأخذ سعيد.

أم خالد : ألم تخبرني سابقا بأن امرأتك حامل ؟

أبو خالد : كنت أكذب عليك..

أم خالد : وإلى أين ستأخذ سعيد ؟

أبو خالد : سأذهب به معي إلى خالته.

أم خالد : لا أرجوك ، لا تفرق بيني وبين ابني ، أرجوك لا
تحرمني منه.

أبو خالد : هل ترين أن أجيب رجاءك وأنت لم تفكري بي كل هذه
السنين التي مضت.

أم خالد : أرجوك لا تفعل.

أتى خالد من الخلف ، أبي ، إن كنت عازما على الأمر ، فخذني أنا
ولا تأخذ سعيد ، أرجوك يا أبي اترك سعيدا مع والدتي ، فأنا كما
ترى لا أستطيع الحركة ، واطرك سعيدا حتى يقضي لأمي حاجاتها
، أرجوك يا أبي.

أبو خالد : وماذا أريد بابت المعاق ؟

خالد : دهش خالد من هول ما سمع ، وأخذته الدهشة ، وتوقفت
الكلمات ، ثم انحدرت الدمعات ، وسقطت على خده العبرات ، ولما
رأى سعيد الدمعات على خالد ، ذهب إلى أبيه يضربه ويقول:

سعيد : أنت المعاق ، وليس أخي ، أنت المعاق ،

ثم أخذه أبوه ، يسحبه ويقول:

أبو خالد : هيا تعال معي.

سعيد : لا ، أريد أُمي ، أنا لا أعرفك ،

عندها اشتعلت العاطفة لدى الأم الحنون ، وذهبت بسرعة تشد
بملابس سعيد ، وتتوسل إلى زوجها أن يتركه ، وزوجها يشده
من الجهة الأخرى ، وبينهم ذاك الطفل يبكي ويقول:

سعيد : أريد أُمي فأنا لا أعرفك.

أبو خالد : أنا والدك ،

سعيد : والدي مات ، لا أريدك ، أريد أُمي.

أم خالد : أرجوك اتركه هنا ، تعال كل يوم لتراهما ، أرجوك دعه

، أرجوك دعه.

أبو خالد : لن أتركه ، سأخذه معي.

ثم سحب أحمد ابنه سعيد ، وسقطت الأم على الأرض وهي تبكي وتصيح ، لا ، سعيد ، أرجوك يا أحمد اتركه ، أرجووووووك ، وخالد في الخلف يبكي ، فهو لم يستطع الكلام مع والده بعد أن قال له تلك الكلمة التي هزت مشاعره ، وأجمته عن الكلام ، وذهب أحمد منتصرا بعد أن أخذ ابنه سعيد.

وأخذ يجر سعيد وهو يتشبث بأي شيء أمامه ، وهو لا يريد الذهاب معه ، وأركبه في السيارة ، وهو يبكي ويصيح ، أخذ أحمد شخص سعيد ، ولكن قلبه ووجدانه هناك في البيت عند أمه وأخيه ، تحرك أحمد بالسيارة ، وسعيد ينظر إلى المنزل الذي أخذ منه بالقوة ، وأمّه أمام الباب تبكي ، ولم يترك نظره إلى أن توارى البيت عن العين.

جلس سعيد في صمت ، يدور بداخله عدة تساؤلات ، هل هذا أبي كما يزعم ؟ إلى أن يذهب بي ؟ هل سأحرم من أمي وأخي إلى الأبد ؟

وفجأة وعند بيت فخم ، أوقف أحمد السيارة ، ثم نزل منها ، وأغلق باب السيارة ، وسعيد لا يزال بالداخل ، ثم صاح عليه أحمد

أحمد : اخرج من السيارة ، قد وصلنا.

نزل سعيد من السيارة ، وأخذ يمشي خلف والده ، لا يدري إلى أين تسوقه الخطي ، لا يدري إلى أين يذهب ، لا يدري من سيقابله ، هل يقابله شخص حنون يحتويه ، أم شخص غليظ شديد مثل أبيه.

وعندما وصلا إلى الباب ، وفتح أبو خالد الباب ، وإذا بتلك المرأة تستقبلهما ، تسأل قائلة:

سلمى : من هذا يا أحمد ؟

أحمد : إنه ابني سعيد.

سلمى : هل أتى لزيارتنا أم سيمكث عندنا أياما قليلة ؟

أحمد : لا ، بل سيبقى هنا أبدا.

سلمى : وهل أمه راضية على هذا الأمر ؟

أحمد : لا ، وإنما أنا من حقي أن أخذه فهو ابني.

سلمى : لماذا أحرمته من حضن أمه ؟ ألم تفكر فيها ، ألم تفكر فيه.

أحمد : أنت عقيم كما تعلمين ، وأنا أريد لي ابني يحمل اسمي ، ويساعدني عند كبري.

أحمد : اسمعي لا أريد كثير من الكلام والنقاش ، هذا الولد سيتربى معنا ، خذيه الآن إلى غرفته.

أخذته سلمى تقوده إلى غرفته ، وهو لا يريد ، إنما أمه وخالد يريد ، أوصلته إلى غرفته ، وأخذت تبتسم وتقول

سلمى : هذه غرفتك ، وإن احتجت شيئا فأنا في خدمتك.

وبينما أرادت الخروج من عند سعيد ولما وصلت إلى الباب ، نطق سعيد بقوله

سعيد : أريد أمي ؟ لماذا تريدون أن تحرموني من أمي ؟ من أنتم ؟ أنا لا أعرف أحدا منكم ، من أين أتيتم ، لماذا تريدون أن تأخذني دور أمي ؟ لماذا لماذا ؟

وأخذ في البكاء ، وأتيت إليه سلمى ، وتقول

سلمى : هذا والدك ، وأنا سأحاول معه أن يعيدك إلى أمك ، أنا أشعر بك يا بني ، سأتي لك بماء.

الفصل الثامن:

ذهبت سلمى وأتت له بالماء ، وأخذت تلاطفه بالكلام حتى يتناسى

همه ، وأخذ ذلك الطفل البريء يبتسم ، ويضحك ويداعب تلك المرأة التي احتوته بحنانها ، واحتضنته بالبسمة والمداعبة ، وقالت:

سلمى : سأذهب لأعد العشاء لك ولأبيك.

وبعد العشاء ، وعندما عاد إلى غرفته ، أخذ ينظر حواليه ، أخذ يبكي ويفتقد من كان ينام معه في الغرفة ، أخذ يتذكر خالد ، من كان يسليه ، من كان ينام معه ، من كان يلعب معه ، ما بين ليلة وضحاها يتغير حال ذلك الطفل المسكين ، وعندما استلقى على فراشه ، يذكر حبيبته ، يذكر غاليته ، يذكر والدته ، من كانت تضع عليه الغطاء ، من كانت تسكته عند البكاء ، أين هي... وبينما هو يتذكر ويبكي ، إذ دخلت عليه خالته سلمى ، أخذ يكفف دموعه ، وأنت إليه لتتظر هل هو نائم أولا..

سلمى : لماذا أنت لم تتم ؟

ويجيبه بسؤال قد أتعبه..

سعيد : يا خالتي ... أريد أمي ؟

يا خالتي ... أريد من كانت تهتم بي ؟

يا خالتي ... أريد من كانت تغطيني ؟

يا خالتي ... أريد من كانت توقظني ؟

يا خالتي ... أريد أمي ؟ يا خالتي أريد أمي ؟

وعاد إلى البكاء ، وأبكى خالته ، واحتضنته وهي تقول ستعود إليها إن شاء الله ، حسبي الله ونعم الوكيل على من كان السبب . فكيف لهذا الطفل البريء أن ينسى أمه ، فهو ينام على ذكراها ، ويستيقظ على طيفها ، وهي لم تغب من خياله ، ولم تمح من ذاكرته ، ولن ينساها من حياته ، فهي والدته.

وتمر الأيام وقبل بداية العام الدراسي الجديد ، ذهب والده ونقله من مدرسته إلى مدرسة أخرى ، وذاك الطفل يتحين بدء الدراسة

لأنه يتوقع أن يرى أخيه بانتظاره عند باب المدرسة.
ومع بداية الدراسة ، استيقظ سعيد وهو مستبشر بقدوم المدرسة
، وركب مع والده ، وهو في شوق أن يرى أخيه ، وإذا بوالده
يتجه إلى مدرسة أخرى ، ولما وصل إلى هناك قال
أبو سعيد : هذه هي مدرستك يا سعيد.

سعيد : ماذا !!!!! أنت مخطئ يا أبي فمدرستي ليست بهذه.

أبو سعيد : لقد نقلتك إلى هذه المدرسة.

صدم سعيد من هول ما سمع ، وزادت كراهيته لأبيه.
وفي ذاك اليوم من هو متحمس ومتشوق لهذا اليوم ، إنه خالد ،
فهو هناك على الباب ينتظر قدوم أخيه بفارغ الصبر ، يريد أن
يراه ويطمئن عليه ، هل هو بخير ، أم يشتكي من علة ما ؟ ولكن
لم ير أحدا ، ذهب خالد إلى مدرسته متكرر الخاطر ، متغير الوجه

...

وفي اليوم التالي يعود إلى المدرسة ، ولم ير أخيه سعيد ، وعاد
خائبا.

وفي اليوم الثالث كذلك يفعل مثل ما فعل في اليومين الماضيين ،
ولم ير أخيه ، حينها دخل إلى المدرسة ، وسئل المدير

خالد : السلام عليكم ؟

المدير : وعليكم السلام...

خالد : أن لم أر سعيد بن أحمد في اليومين الماضيين.

المدير : وما علاقتك به ، ولماذا تسأل عنه ؟

خالد : إنه أخي.

اندهش المدير وقال : أخوك ولا تعلم عنه شيئا.

خالد : إنه قصة طويلة ولكن أين هو ؟

المدير : لقد نقله والدك إلى مدرسة أخرى.

تغيرت ملامح خالد ، وأصبح حزينا مما سمع ثم قال : إلى أين

نقل ؟

المدير : لا أعلم.

خالد : شكرا لك يا أستاذ ، وآسف على الأخذ من وقتك.

المدير : لا بأس.

عاد خالد إلى المنزل حزينا مما سمع ، طرق الباب ، وفتحت له والدته المهمومة ، والدته الحزينة ، والدته الكسيرة ، وهي تقول مريم : ماذا بك ؟ لماذا لم تذهب إلى المدرسة ؟ عندها بكى خالد وقال

خالد : معلمي انتقل إلى مدينة أخرى وأنا أذهب يوميا إلى مدرسة سعيد التي بجوارنا ، أذهب إلى هناك على هذا الكرسي المتحرك ، أذهب إلى هناك لكي أرى أخي وبالتالي ، وبعد هذه الأيام يتضح الأمر بأنه نقل أخي ، قلبي لي لماذا يعاملنا بهذه القسوة ، لماذا يحرمننا من أخي ؟ لماذا ... لماذا يا أمي ؟

مريم : ألم تذهب إلى مدرستك ؟؟

خالد : لا ، ذهبت إلى مدرسة سعيد ولكنني عدت خائبا.

بكت مريم وقالت : حسبنا الله ونعم الوكيل ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

اصبر يا بني ففي يوم سيعود بإذن الله ، ولا تنس دعاء الله في كل صلاة أن يعود لنا سعيد.

الفصل التاسع:

وتمضي الشهور والأعوام ، وعندما بلغ سعيد المرحلة الثانوية ، وبينما هو في المرحلة الثانية منها ، وبعدما عاد من المدرسة ،

وجلس مع أبيه وخالته على مائدة الغداء ، إذا باتصال يأتي لوالده

، لم يجب في المرة الأولى..

وفي المرة الثانية قالت له سلمى

سلمى : أجب على الهاتف.

أحمد : لا أريد إنه السكرتير الخاص.

سلمى : لا بد أن هناك أمر ضروري يريد أن يطلعك عليه.

أحمد : إذا اتصل مرة أخرى سأجيب.

ثم اتصل مرة أخرى ، حينها أجاب أحمد

أحمد : نعم.

السكرتير : السلام عليكم.

أحمد : وعليكم السلام.

السكرتير : أنا آسف على الاتصال الآن ، وإنما الأمر ضروري جدا.

أحمد : وما الأمر الذي دعاك للاتصال الآن.

السكرتير : أرجو أن تتمالك أعصابك ، وأن تسيطر على نفسك.

فز أحمد من مكانه وقال

أحمد : ما الأمر ، إنك تخيفني.

السكرتير : لقد ... لقد...

أحمد : لقد ماذا ، أجب ما الأمر.

السكرتير : لقد خسرت كل أسهمك ، ولم يبق لديك شيء.

أحمد : ماذا ما الذي تقوله ... هل أنت متأكد من الأمر ؟

السكرتير : نعم أنا متأكد ، وأنت مطالب بتسديد القروض التي

أخذتها من البنك.

أحمد : لا ... أنت مخطأ ... أنت مخطأ ، ثم سقط مغشيا عليه من

هول ما سمع ، وصاحت سلمى ، وفز سعيد من مكانه ، أخذوا

يقلبونه يمينا وشمالا وهو لا يتحرك، رفعه سعيد وخالته ، وذهبوا

به إلى المستشفى ، كشف عليه الأطباء وأدخلوه إلى العناية الخاصة ، وأخبروا سعيداً بأن والده في غيبوبة. أخذ الطبيب يسأل سعيد ما الذي أصاب والده. سعيد : لا أعلم ، أتاه اتصال من سكرتيره الخاص ، وأخذ يقول هل أنت متأكد مما تقول ، وقال أنت مخطأ أنت مخطأ ثم سقط مغشياً عليه.

الطبيب : اتصل الآن على السكرتير واسأله ماذا أخبر والدك.. أجرى سعيد الاتصال بالسكرتير ، وأخبره بأن والده قد خسر في الأسهم ، وأنه الآن لا يملك أي شيء ، بل عليه قروض لا بد من تسديدها في الوقت الحالي.

وأخبر سعيد الطبيب بما حدث ، عندها تكشفت الأمور للطبيب ، وقال لسعيد ، والدك الآن في غيبوبة من صدمة الأمر الذي قيل له ، ولا ندري متى يستيقظ منها ، وأخبره بأننا سنهتم به بمشيئة الله تعالى...

وبعد شهرين من الغيبوبة ، فاق أحمد منها ، ولكن حالته الصحية في تدهور ، أخرج إلى غرفة التنويم ، وعندما زاره سعيد وخالته ، وبعد أن اطمأنوا عليه ، وعندما أراد الذهاب قال أحمد لسعيد أحمد : سامحني يا بني على ما فعلته معك.

لقد حرك جرح سعيد ، لقد أدمى جرح سعيد بعدما كاد أن يلتئم ، وما كان من سعيد إلا أن قال.

سعيد : كيف تريدني أن أسامحك وأنت من حرمني من أغلى شيء في الكون ، كيف لي أن أعفو عنك وأنت حرمتني من أمي ، كيف لي أن أنسى ما فعلته بي ، كيف لي أن أسامحك وأنا أنام على ذكرى أمي ، وأصحو على طيفها ، كيف لي أن أسامحك وأنت حرمتني الحنان في وقت أنا كنت محتاجاً إليه ، كيف لي أنا أسامحك وأنت منذ أخذتني لم تجلس معي كما يجلس الأب مع ابنه

، كيف لي أن أسامحك وأنت لم تقبلني ولم تضمّني يوما ، قلي
بربك كيف أسامحك ؟

ثم انصرف سعيد وهو يتذكر أمه وأخيه ويبيكي ، وتبعته خالته ،
وعندما وصلا إلى المنزل ارتمى في حضن خالته وهو يبكي
ويقول

سعيد : والله يا خالتي لا أستطيع أن أسامحه ، فذكرى أمي وأخي
لا تزال محفورة في ذاكرتي

سلمى : أنا أعلم ما تشكو يا بني ، وأعذرك فأنت تتألم من داخلك
، ولكن حاول أن تعفو عنه فقد قال تعالى : " فمن عفا وأصلح
فأجره على الله "

سعيد : لا أستطيع أن أسامحه فقد حرمني من حضن أمي ، وقد
حرمني من رؤية أخي...

سلمى : لقد شعر بغلظته وهو يريد السماح منك.

سعيد : وأنا لا أريد أن أسامحه بل أريد أن يتجرع المرارة التي
تجرعتها على يديه.

وبينما هما في الحديث إذا بالهاتف يرن أجاب سعيد
سعيد : نعم.

المتصل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعيد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المتصل : هل هذا منزل أحمد بن محمد ؟

سعيد : نعم . من أنت ؟

المتصل : أنا الطبيب المسئول عن أبيك.

سعيد : أهلا دكتور ، ما الخبر ؟

المتصل : أريدك أن تأتي حالا إلى المستشفى.

سعيد : ولماذا ؟ هل الأمر ضروري.

المتصل : نعم . والدك يحتضر ، تعال حالا.

سعيد : سأتي إن شاء الله.

ذهب سعيد مسرعا إلى المستشفى ، وما أن وصل إلى هناك ، إلا أن والده قد فارق الحياة ، وأتى وإذا بهم قد وضعوا الغطاء على وجهه ، ولما دخل إلى هناك قام أحد الأطباء الذين كانوا متواجدين حال احتضاره بإعطاء سعيد ورقة مكتوب بها وصية والده.

فتح سعيد الورقة ، وأخذ يقرأ ما بها ، وإذا مكتوب فيها :
"أطلب منك السماح يا بني على ما فعلته معك ، وأنا لن أرتاح بقبري ما لم تسامحني : وأرجوك أن تبحث عن والدتك وأن تطلب منها أن تسامحني هي وخالد ، أرجوكم سامحوني"
عندها دمعت عينا سعيد ، وقال : سامحك الله يا والدي ، سامحك الله يا والدي.

وبعدها أقاموا العزاء لمدة ثلاثة أيام ، وقامت سلمى بسداد ما كان على أبي خالد من ديون ، من هنا انفكت القيود عن سعيد ، وفي اليوم التالي من انتهاء العزاء أخذ سيارته وذهب مسرعا ، يا ترى إلى أين يتوجه ؟ وإلى أين يسير ؟ وإلى أين ينطلق ؟ أتدرون إلى أين !!

ذهب مسرعا إلى المكان الذي لا يزال مرسوما في خياله ، ذهب إلى منزل أخيه ووالدته ، ذهب ليلتق أمه وأخيه ، ذهب إلى من حرم منهم منذ الصغر ، وصل إلى المنزل البسيط ، وصل وكله شوق وحنين إلى من بداخله ، طرق الباب ، انتظر قليلا ولم يجبه أحد ، وفي المرة التالية يطرق الباب وإذا بصوت يرد عليه صاحب المنزل : انتظر قليلا.

استبشر سعيد بذاك الصوت ، وبدأ يرسم في مخيلته شكلا لذاك الصوت ، ويعتقد بأنه خالد.

فُتِح الباب ومن بخلفه عجوز قد تجاوز الستين من عمره.
العجوز : نعم يا بني من تريد.

سعيد : من أنت يا عم ، ولماذا أنت هنا ؟
ضحك العجوز وقال : بل من أنت : أنا ساكن هنا من زمن بعيد ،
منذ ما يقارب سبعة أعوام ، والآن تسأل من أنا .
سعيد : والذين كانوا هنا أين ذهبوا ؟ وإلى أين انتقلوا ؟
العجوز : لا أعلم ، فأنا أتيت إلى هنا من قبل أحد فاعلي الخير ولم
أعلم من كان قبلي .

سعيد : شكرا لك يا عم ، وأنا آسف على الإزعاج .
العجوز : ولكن لم تخبرني من أنت . وعن من تبحث ؟
سعيد : أنا قصتي يا عم طويلة لا أريد أن أشغلك بها ولكن أعذر
مرة أخرى عن الإزعاج ، إلى اللقاء يا عم .
العجوز : إلى اللقاء .

عاد سعيد عابس الوجه ، متكرر الخاطر ، خائب المنال ، عاد إلى
خالته ، واستسلم للأمر الواقع ، وأنه لن يرى أمه وأخيه مرة
أخرى .

وبعد فترة من الزمن ، وعندما أصبح سعيد مدرسا بإحدى
المدارس الابتدائية في نفس المدينة ، قرر الزواج ، وأخذت خالته
تبحث له عن فتاة جميلة ، فتاة خلقة طيبة ، وجدت تلك الفتاة ،
إنها فتاة في المرحلة الأخيرة من الدراسة الجامعية ، إنها منى ،
ابنة جيرانهم ، أخبرت الخالة سعيد بالأمر واستشارته هل هو
موافق عليها أن لا .

سعيد : يا خالتي أنت الآن بمثابة أمي وافعلي ما تريدين فأنا أجزم
بأنك لن تختاري إلا ما يناسبني .

الفصل العاشر والأخير ..

تزوج سعيد من منى ، وبعد أسبوع من الزواج ، قرروا الذهاب
إلى شهر العسل ، انطلقوا مع أذان صلاة العصر ، وبينما هم في

الطريق إذ مر سعيد بجانب منزلهم القديم ، يتذكر أيام طفولته ، ويتذكر أمه وخالد الذين لن ينساهم أبدا ، ذهب من أمام المنزل ، وبعد مسافة قريبة جدا لا تتجاوز الخمسة كيلو متر ، أقيمت الصلاة ، ووقف بجانب مسجد هناك ، أوقف سيارته ثم نزل منها ، ونزلت معه منى ، أدخل زوجته إلى مصلى النساء ، ثم عاد ليدخل من باب المسجد ، وهناك شاب معاق يريد الطلوع من عتبة باب المسجد ولكنه لم يستطع ، رآه سعيد وذرفت عيناه ، أتدرون لماذا ، لأنه ذكر خالد ، ذهب سعيد مسرعا ليساعده في الدخول إلى المسجد ، أدخله سعيد إلى المسجد ، وشكره ذلك الشاب المعاق على ما فعله معه ، وبعد الفراغ من الصلاة ، أخذ سعيد ينظر إلى ذلك الشاب المعاق ويتذكر أخاه ، يتذكر حبيبه ، يتذكر أنيسه ، خرج سعيد من المسجد ، وعاد إلى سيارته ، وقد زاده الشوق والحنين إلى أمه وأخيه ، وبعد أن صعدت زوجته ، حرك سيارته ، وبدون أي شعور عاد أدراجه إلى منزلهم القديم ، وزوجته سارحة في خيالها ، وهناك أمرقد شغل تفكيرها ، وفجأة إذا بسعيد يقول

سعيد : إلى أين نحن ذاهبون ؟

زوجته : لا أعلم .

سعيد : ولماذا لم تتكلمي أنني أخطأت في الطريق .

زوجته : لم أكن منتبهة فقد شغلني أمر .

سعيد : وما ذاك الأمر يا ترى ؟

زوجته : لقد رأيت في المسجد مسنة قد أصابها الهم والحزن ما الله به عليم أطلت النظر فيها ، وإذا بامرأة بجانبني تقول لي : هل رأيت تلك المرأة ، إنها تترتاد المسجد منذ 15 عام تقريبا ، تدعو وتتضرع ، وتبكي ومن المرارة تتجرع ، لو تذهبي إليها وتسألها ما الذي حدث لها ، ستشرح لك قصتها .

ذهبت إليها وسألتها ما بك يا خالة ، وما الذي أصابك ، عندها
بكت ، أو تدري ما قالت ؟

سعيد : وماذا قالت ؟ !!

زوجته : قالت لي :

المسنة : سأروي لك قصتي باختصار ، كنت متزوجة ، وأنجبت
من زوجي ابنا سميته خالد ، ثم سافر وتزوج علي ، وتركته ،
وذهبت إلى شقة أخرى ، وتركنا بعدها وكنت حاملا ، وأنجبت
بعدها سعيد ، وتمر الأعوام ، ويحصل حادث لابني خالد أصبح
بعدها معاق ، وبعد مرور من الزمن ، أتى أبو خالد ، وأخذ مني
سعيد ، وحرمني منه إلى الآن ، فأنا الآن لي 15 عاما لم أرى
ابني ، ولا أعلم عنه شيئا ، هل هو فرحان أم حزين ، هل هو
بصحة وعافية أم مريض ، وأنا لم أئس من وجوده ، وأنا أدعو
الله دوما أن أعلم عنه أي شيء لكي أرتاح ، أريد أن أعلم عنه
هل مطمئن ، هل هو بخير هذا ما أريده.

منى : أليست قصة أليمة (والتفت إلى سعيد) يا.....

دهشت مما رأت ، لقد ذرفت عيناى سعيد ، وعاد أدراجه مسرعا
إلى ذلك المسجد ، وزوجته تقول : أنا أعلم أنها قصة أليمة ،
ولكن ماذا بأيدينا أن نعمل ، ما لنا إلى ندعو الله لها أن يعيد إليها
ابنها .

وصاح سعيد بأعلى صوته ، أنا ابنها ، إنها أمي يا منى ، إنها من
حرمني أبي عنها ، إنها أمي وليست كما تظنين أن أمي سلمى ،
وبدأ يبكي كالطفل الصغير ، وبدأت زوجته تبكي معه ، وصلوا إلى
المسجد وانتظروا إلى صلاة المغرب ، نزلوا إلى المسجد وبعد
الصلاة ، خرج سعيد مسرعا وخرجت زوجته وهو يقول

سعيد : هل رأيته ؟

منى : لا إنها لم تأت .

ضاق سعيد مما سمع ، لا بأس ستأتي العشاء ، أذن لصلاة العشاء وأتوا إلى المسجد مسرعين لعلهم أن يجدوا من يبحثوا عنه .

ومثل صلاة المغرب لم يجدوا المرأة المسنة سعيد : اذهبي واسألي أحدا ربما يعرف أين منزلها . عادت منى إلى المسجد واستوقفت امرأة في المسجد وسألته هل تعرف امرأة اسمها مريم (أم خالد) المرأة : نعم أعرفها ، ووصفتها بمنزلها .

شكرت منى المرأة ثم عادت إلى سعيد لتخبره بمكان أمه ، ذهب مسرعا إلى المنزل وهو لا يبعد عن المسجد ، وطرقوا الباب ولكن للأسف لم يجدوا أحد ، مكثوا طويلا هناك ولكنهم لم يجدوا أحدا . عادوا كالعادة خائبين ، وقالوا ربما أخطأت المرأة في وصف بيتها ، وأن هذا ليس منزل والدتي .

استأجروا شقة في نفس الحي ، وناموا هناك ، وفي اليوم التالي وعند أذان العصر انطلقوا هناك إلى المسجد ، وصلوا ولكنهم لم يجدوا المرأة ، وقالت منى

منى : هيا نذهب إلى المنزل الذي وصفتنا إياه المرأة . سعيد : لا أحد هناك ، وإنما سنعود كالعادة خائبين . منى : فلنحاول هذه المرة علنا نجد أحدا يرشدنا إن كنا مخطئين .

سعيد : إذا فلنذهب على بركة الله . عندها ساروا متجهين إلى المنزل ، طرقوا الباب ، وإذا بمن في الداخل يقول انتظروا قليلا .

فُتح الباب ، وإذا بالشاب المعاق الذي ساعده سعيد في الدخول إلى المسجد ، إذا بسعيد يقول

سعيد : خالد بن محمد ؟

خالد : نعم أنا هو . من أنت .

عندها بكى سعيد وانكب إلى أحضان خالد وهو يبكي ويصيح أنا أخوك سعيد.

ذهل خالد من هول ما سمع ، وسمعته والدته وتركت ما بيدها وأتت مسرعة .

مريم : سعيد ، ابني ، واحتضنته بشدة وبكت ، وهو يزيد في البكاء ، وقام خالد يعتمد على الكرسي إلى أن قام على رجليه ، ومشى على قدميه ليشارك أمه وأخيه الفرحة والاحتضان ، دهشت أمه مما رأت ، خالد يمشي بعد هذه السنين ، احتضنت الأم ولديها ، وبكت بكاء مريرا ، نعم ، لطالما بكت حزنا وألما ، واليوم تبكي بكاء الفرح ، ومنى بالبواب تبكي مما ترى ، وبعد العناق من بعد الفراق ، وبعد تبادل القبلات ، وبعد الفرحة رأت أمه من بالبواب وسألت سعيد مريم : من هذه يا بني ؟ سعيد : إنها زوجتي يا أمي .

سلمت عليها مريم ، وأدخلتها إلى الداخل . وخالد أخذ أخيه وذهب به إلى المجلس ، وعندما جلسوا في ذاك المجلس أخذ خالد يسأل أخاه في أثناء دخول والدته

خالد : كيف حال من حرمك منا ، استصعب أن يقول أبي سعيد : لقد مات منذ مدة ، وكتب وصيته يطلب منكم السماح . خالد : لن أسامحه ... وأسكنته والدته بقولها : بني طلب منك السماح والآن هو ميت فسامحه الله . عندها سكت خالد ولم ينطق بكلمة .

سعيد : أخبرني يا خالد ، كيف أكملت الدراسة وأنت بهذه الحالة ؟

خالد : في المتوسطة كنت أذهب مشيا ، لأن المدرسة بقربنا ، أما

في الثانوية ، فقد كان يوصلني مهند إلى المدرسة ، ويأتي بي ،
وتركت الدراسة بعد الثانوية ، واشتغلت في شركة مع مهند ،
والحمد لله على كل حال . وأنت يا سعيد ؟
سعيد : أنا أكملت الدراسة الجامعية وأصبحت مدرسا في هذه
المدينة .

وبعد تبادل الأحاديث والأخبار قال سعيد .
سعيد : أتدرون من ينقصنا في هذه الجمعة الطيبة ، وفي هذا
المجلس الطيب ؟
مريم وخالد : من ؟
سعيد : إنها أمي الثانية ، إنها أمي سلمى ، من ربتي وعطفت
علي .
مريم : لا أريد أن أراها .
سعيد : أماه أرجوك ، فلو تعلمي ما فعلته لي لسامحتها وأحببتها
.
مريم : وما الذي فعلته ؟
سعيد : من أشفقت علي عندما أخذني أبي ، من تضمنني عندما
يضر بني أبي ، من كانت تحاول في أبي أن يعيدني إليك ، من
كانت بدورها هي من تبحث عنك .
مريم : هل كانت تفعل ذلك حقا يا بني .
سعيد : نعم كانت تفعل ذلك ولم تكن راضية على فعل أبي بك وبني
.
مريم : إذا لا بأس يا بني .

ذهب سعيد وأتى بها ، وبعد أن جلسوا يومين ، انتقلوا إلى منزل
سلمى ، وعاشوا عندها في منزلها الذين يتكون من طابقين ،
وأعطت كل واحد منهم شقة ليعيش بها ، وتزوج خالد ، وأصبح
لسعيد ولد سماه سامي ، وابنة اسمها لمى ، وخالد لديه ابنة

اسمها لمار ، وعاشوا بعدها في سعادة وهناء

وأخيراً..

أشكر كل من تابع ، وكل من زودني بالملاحظات ، ولن أقول
أبدعت في هذه الرواية لأنها لم تخلو من الأخطاء ، ولأنها الرواية
الأولى ، وأرجو أن تكون قد نالت إعجابكم
تحيات الكاتب ... عبد الله الغامدي..

مرفوعة